مدخل لعقيدة السلف

إعداد

د/ عيسى بن عبدالله السعدي

أستاذ العقيدة بجامعة الطائف

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ، وعلى آله وصحبه أجمعين ، وبعد :

فهذا مدخل لعقيدة السلف جعلته في أربع وحدات :

الوحدة الأولى : في مبادئ علم العقيدة .

والوحدة الثانية : في معنى التوحيد وأنواعه .

والوحدة الثالثة : في مختصر أصول اعتقاد السلف.

والوحدة الرابعة : في المنهج التفصيلي للعقيدة .

وقد ألقيت معظمه على طلاب جامعة الطائف ، ثم راجعته ، وأضفت ما تدعو الحاجة إلى إضافته ؛ ليعم نفعه بإذن الله تعالى ، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل .

د/ عيسى بن عبد الله السعدي

أستاذ العقيدة بجامعة الطائف

قسم الشريعة والدراسات الإسلامية

الوحدة الأولى

مبادئ علم العقيدة

معنى العقيدة

العقيدة مشتقة من العقد ؛ وهو الربط والشد . والاعتقاد: هو الحكم الذهني الجازم ، فإن طابق الحق فصحيح وإلا ففاسد ؛ ولهذا كانت العقائد على قسمين:

أ -عقائد صحيحة ؛ كعقيدة التوحيد، وعقيدة ختم النبوة ، وعقيدة البعث.

ب- عقائد فاسدة ؛ كعقيدة التثليث، وعقيدة التناسخ ، وعقيدة الحلول.

موضوع العقيدة

العقيدة من حيث هي يختلف موضوعها باختلاف الملل ، ويختلف كذلك باختلاف الفرق ! فكل ملة لها عقيدة ، وكل فرقة لها طريقه . ونحن والحمد لله ندرس العقيدة الإسلامية على طريقة السلف الصالح . وقد بين النبي ﷺ هذه العقيدة وحدد موضوعها بأدق وأشفى عبارة فقال ﷺ : (الإيمان أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره) . وهذه الأصول تدور حول ثلاثة أمور :

أ- التوحيد. ب- النبوة. ج- الغيبيات

وهذه المحاور الثلاثة تنتظم جميع مسائل الاعتقاد .

س/ ما كيفية الإيمان بالله وما علاقته بالتوحيد والقدر؟

ج / الإيمان بالله يعني الإيمان بأربعة أمور : أ- الإيمان بوجود الله . ب- الإيمان بربوبيته .

ج- الإيمان بألوهيته . د- الإيمان بأسمائه وصفاته .

والتوحيد مرتبط بهذه الأمور من كل وجه ؛ فالأمران الأول والثاني هما توحيد الربوبية ، والثالث توحيد الألوهية ، والرابع توحيد الأسماء والصفات .

أما القدر فإنه يعني الإيمان بعلم الله السابق ، وبكتابة المقادير ، وبعموم المشيئة والخلق ؛ وهذا يعني أنه داخل في توحيد الربوبية ، وفي توحيد الصفات . ويمكن كذلك أن يقال : إنه داخل في توحيد الألوهية ؛ باعتبار أن هذا التوحيد متضمن لتوحيد الربوبية والصفات بما في ذلك الإيمان بالعلم والكتابة وعموم المشيئة والخلق .

أسماء العقيدة

العقيدة أشهر أسماء هذا العلم في هذا العصر ، وقد اشتهر بهذا الاسم من عدة قرون ، ولكنه كان يعرف عند السلف مع هذا الاسم بأسماء أخرى ربما كانت أكثر شهرة منه ؛ ومنها :

١- الفقه الأكبر ؛ مثل كتاب الفقه الأكبر لأبي حنيفة . ويقال : إن للشافعي كتابا بهذا الاسم أيضا . والله أعلم .

٢- الإيمان ، مثل كتاب الإيمان لأبي بكر بن أبي شيبة ، وكتاب الإيمان لأبي عبيد القاسم بن سلام ، وكتاب الإيمان لابن منده.

٣- السنة : فبعض علماء السلف كان يطلق على العقيدة اسم السنة مثل : كتاب السنة لعبد الله بن الإمام أحمد ، وكتاب السنة لابن أبي عاصم ، وكذلك السنة للخلال ، وشرح السنة للبربهاري .

٤ - الشريعة ، فمن علماء السلف من أطلق على العقيدة اسم الشريعة وهو إطلاق صحيح ؛ لأن الشريعة قد يراد بها ما شرعه النبي ﷺ من عقائد ، وقد يراد بها ما شرعه النبي ﷺ من العمل، وقد يراد بها الأمران كلاهما ، وممن أطلق اسم الشريعة على هذا العلم أبو بكر الآجري في كتابه الشريعة ، وكذلك ابن بطة في كتابه الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ، ويسمى الإبانة الكبرى .

٥ - أصول الدين ، فقد أطلق بعض علماء السلف هذا الاسم على العقيدة ؛ لأنها القاعدة التي يقوم عليها الدين ، ومن ذلك كتاب الشرح والإبانة عن أصول السنة والديانة لابن بطة . ويسمى الإبانة الصغرى . وكذلك أبو الحسن الأشعري لما رجع إلى مذهب السلف ألف كتابه المشهور الإبانة عن أصول الديانة . ولكن في القول برجوعه للسنة المحضة في هذا الكتاب نظر ؛ لأنه سار فيه على طريقة ابن كلاب في الصفات الاختيارية لا على طريقة السلف .

٦- العقيدة ؛ فقد أطلق بعض علماء السلف على هذا العلم اسم العقيدة ، ككتاب عقيدة السلف وأصحاب الحديث لأبي عثمان الصابوني ، وكتاب شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة لأبي القاسم اللالكائي .

ومن أشهر الكتب التي تحمل هذا الاسم كتاب لمعة الاعتقاد ، والعقيدة الواسطية ، والعقيدة الطحاوية ، وسنتكلم عنها قليلاً لشهرتها ونفعها.

أما لمعة الاعتقاد فهو كتاب مختصر في العقيدة للموفق بن قدامة وقد شرحه شرحًا مفيدًا نافعًا ابن عثيمين في كتابه شرح لمعة الاعتقاد وهو من أنفع كتب العقيدة للمبتدئين.

وأما العقيدة الواسطية فهو متن جيد في العقيدة أقر بجزالته ونفعه حتى المخالفين ، وقد شرح عدة شروح ، فشرحه زيد بن فياض في كتابه الروضة الندية وشرحه عبد العزيز بن رشيد في كتابه التنبيهات السنية وشرحه محمد بن عثيمين وشرحه صالح الفوزان وغيرهم من أهل العلم .

أما العقيدة الطحاوية فهو متن قديم في العقيدة وله شهرة واسعة ويؤخذ عليه أنه على عقيدة مرجئة الفقهاء وأنه ذكر في المتن عبارات مجملة تحتمل الحق والباطل ؛ ولهذا شرح على طريقة السلف وعلى طريقة الخلف ، وأفضل شروحه على الإطلاق هو شرح علي بن علي بن أبي العز الحنفي وهو شرح عظيم النفع على طريقة المحققين من السلف ، ولهذا كان هو الكتاب المقرر في الجامعات السعودية وغيرها من الجامعات التي تسير على طريقة السلف في العقيدة .

٧- التوحيد : فقد أطلق بعض علماء السلف على هذا العلم اسم التوحيد ؛ ككتاب التوحيد وإثبات صفات الرب عز وجل لابن خزيمة ، وككتاب التوحيد ومعرفة أسماء الله عز وجل وصفاته لابن منده.

ولا زال إطلاق هذا الاسم على العقيدة مستعملاً حتى في هذا العصر ، ومن أشهر كتب العقيدة التي تحمل هذا الاسم كتاب التوحيد للشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله . وقد كثر اعتناء الناس به ؛ لعظم نفعه ، وأهمية موضوعه ، حتى أصبح من أكثر الكتب طباعة وانتشاراً ؛ ونظراً لشهرة هذا الكتاب ، وعناية الناس به ، كثرت شروحه ، وتعددت ، وتنوعت ؛ وسنلقي نظرة عجلى على هذه الشروح.

س/ ما أهم شروح كتاب التوحيد؟

ج/ حظي كتاب التوحيد باهتمام العلماء منذ تأليفه وإلى اليوم ومن هذه الشروح :

[١] تيسير العزيز الحميد لسليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب ، وهو أقدم الشروح وأولها وأوسعها ، إلا أن مؤلفه لم يكمله ، فقد وقف على باب ما جاء في المصورين ، وقد وضعت تكملته من فتح المجيد . وهو مطبوع متداول .

[٢] فتح المجيد لعبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب ، وهذا الكتاب عبارة عن تهذيب وترتيب وتكميل لتيسير العزيز الحميد ، وقد حظي هذا الكتاب بشهرة واسعة و طبع مرات كثيرة وبلغ كثيرا من المسلمين في أنحاء العالم .

[٣] فتح الحميد ، لعثمان بن منصور وهو أكبر شروح كتاب التوحيد ، وقد طبع محققاً في أربعة مجلدات ، إلا أن هذا الكتاب لم يحظ بقبول أئمة الدعوة ، ولهم كلام طويل في نقد الكتاب ومؤلفه في الدرر السنية .

[٤] حاشية كتاب التوحيد ، لعبد الرحمن بن محمد بن قاسم ، وهي حاشية نافعة ومحررة ، ولهذا يعول عليها كثير من أهل العلم في التدريس والتأليف .

[٥] القول السديد ، لعبد الرحمن بن سعدي ، وهو كتاب مختصر في قواعد وضوابط توحيد الألوهيـــة ، وهو في هذا الجانب لا نظير له ، وقد طبع مراراً.

[٦] القول المفيد ، لمحمد بن عثيمين ، وهو في ثلاثة مجلدات كبار ، وهو كتاب حافل بالعلم والتحقيقات النافعة . وهناك شروح أخرى لكتاب التوحيد سوى ماذكر ؛ كقرة عيون الموحدين ، وإبطال التنديد ، والدر النضيد ، وغيرها كثير.

أهمية العقيدة

العقيدة الإسلامية أهم العلوم الإسلامية على الإطلاق وذلك لأسباب كثيرة ، منها :ـ

١) أن شرف العلم بشرف موضوعه وموضوع العقيدة هو العلم بالله وأسماءه وصفاته وأفعاله وهذا أشرف المطالب.

٢) أن العقيدة هي أساس قبول الأعمال فالعمل مهما كثر ونفع فإنه لا يُقبل إذا كان على عقيدة غير سليمة ، قال تعالى: ﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾ الفرقان : ٢٣ ؛ وقال: ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ خَٰشِعَةٌ ﴿٢﴾ عَامِلَةٌ نَّاصِبَةٌ ﴿٣﴾ تَصْلَىٰ نَارًا حَامِيَةً ﴿٤﴾ ﴾ الغاشية: ٢ - ٤ ، و ثبت في الصحيح (أن عائشة رضي الله عنها قالت : يا رسول الله ابن جدعان كان يصل الرحم ، ويقرئ الضيف ، ويعين على نوائب الدهر، فهل ذلك نافعه ؟ قال: " لا إنه لم يقل يومًا رب أغفر خطيئتي يوم الدين) .

٣) أن العقيدة والتوحيد هي الغاية التي لأجلها خُلق الخلق وبُعثت الرسل قال تعالى:﴿ وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾ ﴾ الذاريات: ٥٦ أي : ليوحدون ، وقال تعالى: ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ﴿٣٦﴾ ﴾ النحل: ٣٦ ؛ فكل رسول بعث بالدعوة لعقيدة التوحيد وإن اختلفت الشرائع ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾ المائدة: ٤٨ ، وقال ﷺ : (إنا معاشر الأنبياء إخوة لعلات) ؛ وهم الإخوة لأب ؛ فكما أن الأب يجمعهم فكذلك الرسل تجمعهم وحدة العقيدة وإن اختلفت الشريعة .

٤) أن التوحيد أهم الأوامر الإلهية ؛ ولهذا يُبدأ به في آيات الأمر والنهي كما قال الله تعالى: ﴿ وَٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَلَا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ وَٱلصَّاحِبِ بِٱلْجَنۢبِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ مَن كَانَ مُخْتَالًا فَخُورًا ﴿٣٦﴾ ﴾ النساء: ٣٦ ، وكذلك الشرك فإنه أعظم ما نهى الله عنه ولهذا يُذكر أول النواهي قال تعالى : ﴿ قُلْ تَعَالَوْا۟ أَتْلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمْ عَلَيْكُمْ ۖ أَلَّا تُشْرِكُوا۟ بِهِۦ شَيْـًٔا ۖ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا ۖ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَوْلَٰدَكُم مِّنْ

إِمْلَٰقٍ ۖ نَّحْنُ نَرْزُقُكُمْ وَإِيَّاهُمْ ۖ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلْفَوَٰحِشَ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَمَا بَطَنَ ۖ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١٥١﴾ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ ٱلْكَيْلَ وَٱلْمِيزَانَ بِٱلْقِسْطِ ۖ لَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا ۖ وَإِذَا قُلْتُمْ فَٱعْدِلُوا۟ وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَىٰ ۖ وَبِعَهْدِ ٱللَّهِ أَوْفُوا۟ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١٥٢﴾ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾ ﴾ الأنعام: ١٥١ - ١٥٣ ؛ ولهذه المنزلة فإن الله عز وجل لا يغفر الإخلال بالتوحيد ، وأما العمل فهو تحت المشيئة كما قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ ﴾النساء: ٤٨ ؛ وذلك لأن التوحيد حق الله الخالص كما في حديث معاذ ﷺ: (حق الله على العباد أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئًا).

٥) أن التوحيد إذا كان خالصًا ونقيًا من الشرك فإنه يُكفر الذنوب مهما عظمت كما في حديث البطاقة التي وضعت في ميزان الأعمال ، وفيها (لا إله إلا الله) فطاشت بتسعة وتسعين سجلا من السيئات كل سجل منها مد البصر ، وفي الحديث القدسي : (يا بن آدم لو أتيتني بقراب الأرض خطايا ثم لقيتني لا تشرك بي شيئًا لأتيتك بقرابها مغفرةً) . بل إن التوحيد إذا كان خالصًا أدخل صاحبه الجنة بلا حساب كما في حديث السبعين ألفا الذين لا يسترقون ولا يكتوون ولا يتطيرون وعلى ربهم يتوكلون.

وهكذا نرى الأهمية القصوى لعلم العقيدة ، وهذا لا يعني إهمال بقية العلوم الشرعية بل كلها في غاية الأهمية ولكن العقيدة منها بمنزلة القلب أو الروح .

أدلة العقيدة

أدلة العقيدة هي : الكتاب وصحيح السنة ، وكذلك الإجماع ؛ مع ان عامة قضايا العقيدة ثابتة بالكتاب والسنة.

س: ما علاقة العقل والفطرة بأدلة العقيدة؟

ج : الفطرة السليمة توافق العقيدة الصحيحة ، بل إن الفطرة السليمة لا تستقر إلا مع العقيدة السليمة ، ولهذا نجد الكافر والمبتدع في قلق وحيرة واضطراب.

وكذلك العقل الصريح فإنه موافق للنقل الصحيح ولا يمكن أن يعارضه أبدًا ، ولكن قد يحار في بعض ماجاء به النقل ؛ فالشريعة تأتي بمحارات العقول ولكنها لا تأتي بمحالات العقول أبدًا.

س / أذكر أهم الطوائف التي خالفت أهل السنة في طريقة الاستدلال؟

الطوائف التي خالفت أهل السنة في طريقة الاستدلال على أنواع :-

١. الغلاة في تقديس العقل ، وأشهدهم غلوًا الفلاسفة ؛ فإنهم يعولون على العقل ويهملون النقل إهمالاً تامًا، مثل الكندي والفارابي وابن سينا صاحب (الإشارات والتنبيهات) ، ثم المعتزلة فإنهم يعتمدون على العقل وإنما يذكرون النقل اعتضادا لا اعتمادًا ، كما فعل القاضي عبد الجبار في (شرح الأصول الخمسة) وغيره ، ثم الأشاعرة ؛ فإنهم يقدمون العقل على النقل عند التعارض ؛ ويجعلون الإمكان العقلي شرطا في قبول السمعيات .

٢. الغلاة في تقديس الإلهام ؛ فالإلهام سواء كان إلقاءً في الروع أو رؤيا منام إنما يستأنس به في الترغيب والترهيب إذا وافق الأدلة الشرعية ، ولكن غلا الصوفية في هذا الباب ، وتوسعوا في الاستدلال بالإلهام والكشف والمنام حتى إن الغزالي في (إحياء علوم الدين) اعتبر قبول النقل مشروطًا بموافقة الكشف.

٣. الغلاة في تقديس الأئمة ؛ فالواجب على المسلم أن يقدم قول الرسول ﷺ على قول كل أحد ولا يقدم عليه شيء ، والمذاهب الفقية جُهد مشكور لا شك في ذلك ، بل يُعتبر التفقه عليها ضرورة لما تميزت به من الجهد الكبير في التأصيل والتفريع والتخريج والتراجم وغير ذلك ، ولكن يجب على طالب العلم إذا رأى أن الدليل يُخالف المذهب فليتبع الدليل وليترك المذهب في هذه المسألة ، خلافًا

لمن يتعصب ويتبع إمامه في كل شيء حتى لو خالف الدليل كما قال بعضهم "كل دليل يخالف مذهبنا فهو منسوخ أو متأول"، وقد نبه العلماء لخطورة هذا المسلك ، قال الإمام أحمد : (عجبت لقومٍ عرفوا الإسناد وصحته يذهبون لرأي سفيان والله يقول :﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ النور: ٦٣ ؛ أتدري ما الفتنة ؟ : الفتنة الشرك لعله إن رد شيئًا من قوله أن يقع في قلبه شيء من الزيغ فيهلك) . وقبله قال ابن عباس ﷺ لمن ناظره في متعة الحج :(يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء أقول قال رسول الله وتقولون قال أبو بكر وعمر !!) ؛ فإذا كان هذا تشديد الأئمة على من غلا في اتباع الأئمة الأربعة وفيمن فوقهم بمراتب ؛ كأبي بكر وعمر رضي الله عنهما فكيف بمن غلا في اتباع إمامه وزعم أنه معصوم وقوله حجة وسنة كما هي عقيدة الشيعة الإمامية ، فإنهم يزعمون أن السنة قول المعصوم أو فعله وتقريره ويقصدون بالمعصوم جميع الأئمة الإثني عشر ؛ وأولهم علي ﷺ وآخرهم محمد بن الحسن العسكري ؛ الذي هو المهدي بزعمـــهم !!

س: ما موقف المتكلمين (المعتزلة والأشاعرة) من الاستدلال بالنقل في العقيدة ؟

ج : يستدل المتكلمون بالقرآن وكذلك بالمتواتر من السنة بشرط أن لا يخالف العقل ، أما أخبار الآحاد فإنهم لا يستدلون بها في العقيدة ؛ لأنها كلها ظنية بزعمهم والعقيدة لا بد فيها من القطع وهذا من أخطر آرائهم التي ردوا بها أكثر السنة !! والرد عليهم من وجوه كثيرة ، منها :

أ) ما تواتر في الأحاديث من أن الرسول ﷺ كان يرسل الدعاة ؛ وهم آحاد إلى الملوك والأمم ليبلغوا العقيدة والدين كله ؛ كما أرسل دعاته لملوك الروم وفارس ؛ وكما أرسل معاذا ﷺ لأهل اليمن.

ب) أن خبر الواحد إذا تلقته الأمة بالقبول أو احتفت بها القرائن فإنه يفيد اليقين ، ومعظم أحاديث الصحيحين من هذا القبيل ؛ لتلقي الأمة لها بالقبول . ولو سلمنا بأنه إنما يفيد الظن فالظن الناشئ عن نص خير من تلك الأدلة العقلية التي حيرت أهلها قبل غيرهم ! وسنذكر شواهد من كلامهم لهذه الحيرة !!

قال أحدهم :

طلبتك جاهدا خمسين عاما فلم أعثر على بـــــرد اليقين

فهل بعد الممات بك اتصال فأعرف غامض السر المصون

وقال آخر :-

لعمري لقد طفت المعاهد كلها وقلبت طرفي بين تلك المعالم

فلم أر إلا واضعا كف حائــر على ذقن أو قارعا سن نـادم

وقد تصاحبهم حتى في أحرج لحظات العمر ؛ كما في قول أحدهم :-

لعمرك ما أدري وقد أذن البلى بعاجل ترحالي إلى أين ترحالي

وأين محل الروح عند خروجه من الهيكل المنحل والجسد البالي

ج) أن أخبار الآحاد الثابته موافقة للقرآن وهذا دليل على أنها تخرج من مشكاة واحدة ؛ ولهذا كان الإمام البخاري يذكر دليل المسألة من القرآن ثم يتبعه بالأحاديث التي توافقه وتفسره .

د) أن إنكار أخبار الآحاد يعني رد معظم الأحاديث ؛ لأن أكثر الأحاديث عبارة عن أخبار آحاد والمتواتر قليل جدًا . بل إن الرازي اشتط فعزل النقل كله عن الاستدلال العقدي ؛ فزعم في كتابـــه (المحصل) أن الأدلة النقلية كلها لاتفيد اليقين إلا بعد تيقن عشرة أمور ؛ عصمة الرواة ، وعدم الاشتراك والمجاز والنقل والتخصيص بالأشخاص والأزمنة وعدم الإضمار والتأخير والتقديم والنسخ وعدم المعارض العقلي الذي لوكان لرجح عليه !!! ؛ ولهذا نقل ابن تيمية في (منهاج السنة) قول أحدهم في ذم هذا الكتاب :

محصل في أصول الدين حاصـــــله من بعد تحصيله أصل بلا دين

أصل الضلالات والشك المبين فما فيه فأكثره وحي الشـــياطين

بل إن ابن القيم اعتبر هذا الأصل أحد أربعة أصول دك بها المتكلمون معاقل الوحي !!

س/ اذكر نبذة مختصرة عن هذه الأصول الأربعة التي رد بها المتكلمون أكثرالنصوص ؟

هذه الأصول هي :-

١ - اشتراط القطعية في أدلة العقيدة ، وهذا لا يتحقق بزعمهم إلا في الأدلة العقلية ، لأن النقل حتى لو كان قرآنا أو سنة متواترة يتطرق إليه عشرة احتمالات كل واحد منها كاف في رفع قطعية الدليل النقلي ؛ كاحتمال النسخ أ والإضمار أو التخصيص أو المعارض العقلي .... الى آخر ما ذكره الرازي في المحصل .

٢ - تقديم العقل على النقل عند التعارض ، ولهذا أنكروا كثيرا من الصفات حتى وإن جاء بها القرآن والسنة المتواترة ، فاستواء الله مثلا وإن ذكر في سبع من آيات القرآن إلا أنه لا يمكن القول بموجبها والأخذ بدلالتها ، لأنها تعارض دلالة العقل على تنزيه الرب عن الجهة ، لأنها من خصائص الأجســام !!

٣- اعتبار نصوص الصفات مجازا يمكن نفيه أوتأويله بما يتسق مع دلالة العقل ، ولهذا أولو صفة اليد بالنعمة ، وصفة الرحمة بالإرادة ، وصفة النزول بنزول أمر الله تعالى أو نزول ملك من ملائكته مع أن الحديث نص في نزول الرب تبارك وتعالى ، فلا يمكن أبدا أن يقول الملك : (من يدعوني فأستجيب له) هذا لا يقوله أبدا إلا رب العالمين !!

٤- رفض الاستدلال بأخبار الآحاد في العقيدة حتى لو كانت في الصحيح ، لأنها بزعمهم إنما تفيد الظن ، والظن لا يجوز أن يكون أساسا تبنى عليه العقيدة ، ولهذا ردوا كثيرا من الأحاديث الصحيحة بهذه الحجة الباطلة مع أن أكثر ما ردوه يفيد القطع ، لأن خبر الواحد يفيد القطع اذا احتفت به القرائن ؛ كتلقي الأمة له بالقبول ، وعامة أحاديث البخاري ومسلم من هذا الضرب .

وهكذا صالوا على النصوص حتى عزلوها عن الاستدلال العقدي أو كادوا ، فلا يذكرونها في كتبهم إلا قليلا . وانظر في (شرح المواقف) أو (المقاصد) أو (النسفية) تجد مصداق ما ذكرت مع أنهم أقرب الخلف لأهل السنة فكيف لو طالعت (شرح الأصول الخمسة) أو (المغني) للقاضي عبد الجبار وكتب أضرابه من المعتزلة والشيعة الإمامية ؟! لاشك أن الأمر أكبر من ذلك بكثير ، فبعدهم عن النص أظهر وأظهر وهيمنة العقل عندهم أعظم وأعظم !! فحسبنا الله ونعم الوكيل . ولعظم خطورة هذه الأصول أفرد ابن القيم لها كتابه المشهور (الصواعق المرسلة) .

كتب العقيدة

كتب العقيدة لا تكاد تحصى فهناك كتب مؤلفة على طريقة الفلاسفة مثل : الإشارات والتنبيهات لابن سينا ومثل النجاة له أيضًا.

وهناك كتب على طريقة المعتزلة مثل : شرح الأصول الخمسة للقاضي عبد الجبار ومثل المحيط بالتكليف.

وهناك كتب على طريقة الأشاعرة ، كشرح المواقف للجرجاني وشرح المقاصد للتفتازاني.

وهناك كتب على طريقة الشيعة الإمامية مثل الاقتصاد في الاعتقاد للطوسي ، وكتاب الإلهيات للسبحاني.

وهناك كتب على طريقة الإباضية كمشارق أنوار العقول للسالمي ، وكتاب الحق الدامغ لأحمد الخليلي.

وهناك كتب مؤلفة على طريقة الإسماعيلية ؛ وهم من أبعد الناس عن عقيدة السلف مثل: راحة العقل للكرماني ، وكتاب الينابيع للسجستاني !

وهكذا نرى أن كتب العقيدة بحر لا ساحل له ؛ ولهذا يجب على طالب العلم أن يتثبت في اختيار الكتاب الذي يقرأ ؛ فلابد أن يكون من كتب العقيدة التي ألفت على طريقة السلف وخاصة إذا كان في أول طريق طلب العلم و هو ما سنركز عليه الآن بإذن الله تعالى !

س / ما أهم الكتب المؤلفة في العقيدة على طريقة السلف؟

ج : هناك كتب مؤلفة في العقيدة على طريقة السلف وهي كثيرة ؛ ولهذا سنقسمها تقريبا للضبط إلى مجموعات:

١) كتب السلف الأولى ؛ وهي في الغالب كتب مسندة ، مثل: كتاب التوحيد لابن خزيمة ومثل كتاب السنة لابن أبي عاصم ، وكتاب الشريعة للآجري ، ومن كتب السلف ما هو مؤلف في بعض أبواب الاعتقاد أو مسائله ؛ ككتاب القدر للفريابي ، وكتاب النزول للدارقطني ، ومنها ما ألف في الرد على أهل البدع كخلق أفعال العباد للبخاري والرد على الزنادقة والجهمية للإمام أحمد ومثل رد الدارمي على المريسي ورد الدارمي على الجهمية وقد كان ابن تيمية يثني على هذين الكتابين كثيرًا.

٢) كتب المحققين من أهل السنة ؛ وهي كتب لعلماء في القرن السابع والثامن الهجري ؛ جاءوا بعد أن استحكمت بدعة الكلام والتصوف والفلسفة وغيرها وكاد مذهب السلف أن يندرس ؛ فأحيوا مذهب السلف وردوا على أهل البدع ، ومن هؤلاء ابن تيمية وابن القيم وابن رجب وابن كثير وابن عبد الهادي ومن أهم الكتب التي ألفها هؤلاء الأعلام ، كتاب درء التعارض لابن تيمية ، وهو أعظم كتبه ومثل منهاج السنة لابن تيمية وهو أعظم ما ألف في الرد على الشيعة ومثل بيان تلبيس الجهمية لابن تيمية ومثل كتاب الصفدية في الرد على الفلاسفة ومثل مجموع الفتاوى ؛ ففيه رسائل وكتب في

العقيدة على طريقة السلف ، ومنها أيضا الصواعق المرسلة لابن القيم وله أيضا مدارج السالكين وإغاثة اللهفان والنونية وغيرها (للنونية شرح نفيس للهراس) .

٣) كتب أئمة الدعوة ؛ وأول هؤلاء الأعلام الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمه الله (١١١٥هـ – ١٢٠٦هـ) ؛ فقد ظهر في زمن رجع فيه كثير من الناس إلى علم الكلام والتصوف ، وانتشرت بدع القبور، والتعلق بالبشر، ووصل الحال في بعض الأقطار إلى ما يشبه الجاهلية الأولى فأنكر رحمه الله هذه البدع ، وأحيا مذهب السلف الذي كاد أن يندرس ، وأعانه على ذلك الإمام محمد بن سعود – رحمه الله – وأبناؤه من بعده ؛ فعادوا بالناس لمذهب السلف ، وهدموا القبور والمشاهد ، وبعثوا المعلمين في القرى والهجر حتى انتشر الخير ، وعاد الناس لمنهج السلف من جديد ؛ وقد ألف هذا الإمام وأئمة الدعوة من بعده كثيرا من الكتب في عقيدة السلف مثل كتاب التوحيد ، وكشف الشبهات ، وكتاب أصول الإيمان ، وفتح المجيد ، وكثير من الكتب والرسائل و معظمها موجود في كتاب الدرر السنية الذي بلغ ستة عشر مجلدا .

٤) كتب علماء السلف في اليمن ؛ فرغم أن المذهب الزيدي هو الغالب على اليمن إلا أنه ظهر في هذا القطر علماء أحيوا مذهب السلف وأنكروا البدع وأشهر هؤلاء الأعلام ثلاثة ؛ أولهم ابن الوزير ؛ وقد كان قبل إمام الدعوة بوقت طويل ؛ وهو صاحب كتاب العواصم والقواصم ، وكتاب إيثار الحق على الخلق ، وثانيهم الصنعاني ؛ وقد كان معاصرا لإمام الدعوة ، وأثنى على دعوته ؛ وله رسائل في العقيدة ؛ كتطهير الاعتقاد وكتاب رفع الأستار وكتاب جمع الشتيت . والثالث الشوكاني ؛ فله رسائل في العقيدة على مذهب السلف مثل : التحف في الإرشاد إلى مذهب السلف ، ومثل الدر النضيد في إخلاص كلمة التوحيد ، ومثل إرشاد الثقات ، ومثل شرح الصدور ، ورسالة البغية في مسألة الرؤية . ويلحق بعلماء هذا القطر من تأثر بهم من خارجه ، وأبرزهم صديق حسن خان الذي تأثرا بالشوكاني كثيرا ، وهو الذي ألف كتاب الدين الخالص ؛ وهو كتاب كبير في العقيدة يقع في أربعة أجزاء .

٥) كتب علماء السلف المعاصرين وهي كثيرة جدًا ؛ ككتاب القائد إلى تصحيح العقائد للمعلمي ، وتوضيح الكافية الشافية لابن سعدي ، ومعارج القبول للحكمي ، وعقيدة أهل السنة والجماعة لابن

عثيمين ، ودعوة التوحيد للهراس ، وجدليات ابن تيمية حول النبوات والغيبيات له أيضا ، وعقيدة التوحيد للفوزان ، وشروح البراك للتدمرية والطحاوية والقواعد الأربع والأصول الثلاثة ونواقض الإسلام وكشف الشبهات .

٦) الرسائل العلمية ؛ وهي من مزايا العصر الحديث ؛ فهناك رسائل قيمة في العقيدة مثل ابن تيمية السلفي ونقده لمسالك المتكلمين في الإلهيات للهراس ، وابن تيمية وقضية التأويل لمحمد الجليند ، ومثل التبرك أنواعه وأحكامه للجديع ، ومثل الأدلة العقلية على أصول الاعتقاد لسعود العريفي ؛ وهناك رسائل كثيرة جدًا فيها الغث والسمين فينبغي لطالب العلم أن يحتاط فليست كل رسالة فيها إضافة علمية أو بحث علمي جاد.

٧) البحوث العلمية المحكمة ؛ كالبحوث التي تنشرها مجلة البحوث الإسلامية التابعة لدار الإفتاء ، ومجلة جامعة أم القرى ، ومجلة الجامعة الإسلامية ، ومجلة جامعة الإمام محمد بن سعود ، ففيها بحوث محكمة وقيمة في العقيدة وغيرها.

٨) المواقع الإلكترونية ؛ فهناك مواقع متخصصة لنشر كتب العقيدة وأبحاثها وبرامجها من أشهرها الجمعية العلمية السعودية لعلوم العقيدة والأديان والفرق .

ألقاب أهل السنة والجماعة

أهل السنة والجماعة سموا بهذا الاسم الذي هو أشهر أسماءهم ؛ لأنهم متمسكون بالسنة ومجتمعون عليها ؛ لم يتفرقوا تفرق أهل البدع كالخوارج الذين تفرقوا إلى محكمة وأزارقة ونجدات وصفرية وإباضية ، وكالمعتزلة الذين زادت فرقهم على العشرين ، وكالشيعة الذين زادت فرقهم على السبعين .

ورأى بعض أهل العلم أنهم سموا بأهل السنة والجماعة أخذًا من قول النبي صلى الله عليه وسلم في حديث الافتراق (ما أنا عليه اليوم وأصحابي) فكلمة (ما أنا عليه) إشارة إلى لوصف السنة . وكلمة (وأصحابي) إشارة لوصف الجماعة.

ولأهل السنة مع هذا الاسم عدة أسماء منها :

١) السلف ؛ وذلك لأنهم في مسائل العقيدة ودلائلها على ما كان عليه السلف الصالح من الصحابة وتابعيهم بإحسان .

٢) أهل الحديث ؛ وذلك لتعظيمهم للحديث ، وعنايتهم به ، واستدلالهم بكل ما صح عنه ﷺ متواترًا وآحادًا ؛ ولهذا كان أئمتهم من علماء الحديث كالإمام مالك والإمام أحمد والإمام البخاري .

٣) الفرقة الناجية ؛ أخذًا من قول النبي ﷺ (وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة كلها في النار إلا واحدة) فالناجية واحدة والباقية هالكة وهذه الناجية هي كماقال الإمام أحمد " إن لم يكونوا أهل الحديث وإلا فلا أدري من هم".

٤) الطائفة المنصورة ؛ أخذًا من قول النبي ﷺ : (لا تزال طائفة من أمتي على الحق ظاهرين لا يضرهم من خذلهم إلى يوم القيامة) ؛ فأهل السنة بمقتضى هذا الوعد الصادق منصورون ؛ إما بالسيف والسنان ، وإما بالحجة و البرهان . وقد ورد في بعض الروايات أنهم في الشام وهذا والله أعلم في أخر الزمان ؛ لأن عيسى عليه السلام ينزل في دمشق ، فتكون الفرقة هناك أما قبله فهم متفرقون في البلدان .

خصائص عقيدة أهل السنة والجماعة

لأهل السنة والجماعة خصائص تميز عقيدتهم عن غيرهم منها :

١) سلامة المصدر ووحدته ؛ وهو الكتاب والسنة ؛ ولهذا تجد عقائدهم واحدة مهما اختلفت بلدانهم ، يقول الأصبهاني : (مما يدل على أن أهل الحديث هم أهل الحق أنك لو طالعت كتبهم من أولهم إلى آخرهم مع اختلاف الأزمان الأقطار لوجدتهم في العقيدة على وتيرة واحدة ولو جمعت ما قالوه لوجدتهم على قلب واحد ولسان واحد فهل على الحق دليل أبين من هذا) .

٢) اعتبار الكتاب والسنة أصلاً يحاكم إليه فما وافقه قبل وما خالفه رد ، خلافًا للمتكلمين فالأصل عندهم العقل ، وخلافًا للمتصوفة فالأصل عندهم الكشف ، وكذلك خلافًا لأصحاب الرأي والتقليد والعادات الذين يقدمون العادات وآراء الرجال على الكتاب والسنة.

٣) قبول كل ما صح عن الرسول ﷺ في العقيدة سواء كان متواترًا أو آحادًا ، خلافا للمتكلمين الذين لا يقبلون أخبار الآحاد في العقائد.

٤) أنهم لا ينتسبون لمقالة معينة ولا لشخص معين غير الرسول ﷺ ؛ فانتسابهم للسنة والحديث خلافا لأهل البدع ؛ فإنهم ينتسبون إلى المقالة كالقدرية والمرجئة ، أو إلى القائل كالهاشمية والنجارية ، أو إلى الفعل كالخوارج والروافض.

٥) أن عقيدتهم موافقة للفطرة في المسائل والدلائل ، فعقيدتهم في وجود الله وصفاته وأفعاله وسائر أبواب الاعتقاد موافقة للفطرة السليمة ، وكذلك أدلتهم على معتقداتهم فطرية غير معقدة ، كما هو الشأن عند المتكلمين ؛ فمثلا دليلهم على وجود الله الذي يسمى دليل الحدوث في غاية التعقيد.

٦) الوسطية بين الفرق فأهل السنة والجماعة وسط بين الفرق في :

- الصفات ؛ فهم وسط في هذا الباب بين المعطلة ؛ الذين أنكروا الصفات ، والمشبهة الذين أثبتوا الصفات على وجه يماثل المخلوقات ؛ فأهل السنة أثبتوا الصفات دون تمثيل كما قال تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ الشورى: ١١ ؛ فأول الآية رد على الممثلة وأخرها رد على المعطلة.
- وفي القدر ؛ توسطوا بين الجبرية الذين أنكروا تأثير العبد في فعله ، وبين القدرية ؛ الذين زعموا أن العبد يخلق فعله ؛ فقال أهل السنة إن العبد فاعل لفعله حقيقة والله خلق العبد وفعله كما قال تعالى : ﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ الصافات: ٩٦ .
- وفي الإيمان ؛ توسطوا بين الوعيدية ؛ الذين سلبوا الإيمان عن صاحب الكبيرة وقطعوا بخلوده في النار وبين المرجئة ؛ الذين أثبتوا الإيمان كاملاً لصاحب الكبيرة وقطع غلاتهم بأنه لا يعذب في الآخرة ، فقال أهل السنة ؛ إن صاحب الكبيرة ناقص الإيمان وفي الآخرة تحت المشيئة.
- وفي الصحابة ؛ توسطوا بين الغالية الذين ألهوا بعض الصحابة وبين الناصبة ؛ الذين كفروا بعض الصحابة فقال أهل السنة والجماعة : إن الصحابة هم خير هذه الأمة وما صدر عنهم ؛ إما أن يكون اجتهادا يعذرون فيه ، أو ذنبا يغفر بحسناتهم العظيمة التي ليس لأحد مثلها.

- وفي الأسباب ؛ توسطوا بين الأشاعرة الذين أنكروا تأثير الأسباب وقالوا إن الله يفعل عندها لا بها ، وبين الفلاسفة الذين غلو في تأثير الأسباب وزعموا أنها مبدعة فقال أهل السنة والجماعة : إن الأسباب مؤثرة بقدر الله وخلقه ؛ ولكن تأثيرها مشروط بمشيئة الله إن شاء أبقاها على تأثيرها دلالة على حكمته وإن شاء صرفها دلالة على قدرته.

٧) الحذر من البدع ، والتحذير منها ومن أسبابها ؛ لقوله تعالى: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ﴾الأنعام: ١٥٣ ، ولقوله ﷺ : (شر الأمور محدثاتها وكل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار) . قال الاوزاعي " كان بعض هل العلم يقول : لا يقبل الله من مبتدع صلاة ولا صيامًا ولا صدقة".

س/ ما أسباب البدع ؟

ج: للبدع أسباب كثيرة:

أ) الغلو ؛ فالخوارج إنما ظهروا بسبب الغلو وهكذا الصوفية وغيرهم ؛ ولهذا حذر النبي ﷺ من هذا السبب بقوله : (إياكم والغلو فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو) ، وليس معنى هذا الدعوة إلى التحلل والتفلت من التكاليف وإنما الدعوة إلى الاستقامة على دين الله دون غلو أو تقصير.

ب) الاحتجاج بالاحاديث الضعيفة والموضوعة ، كحديث (من زار قبري وجبت له شفاعتي) وحديث (من حج ولم يزر قبري جفاني) فهذه الأحاديث الباطلة أدت إلى بدع الزيارة المعروفة والمشهورة . مع أن المشروع إنما هو شد الرحل للمسجد النبوي لا للقبر ؛ لحديث (لا تشد الرحال إلا إلى ثلاثة مساجد) ؛ فعلى المسلم إذا أراد السفر للمدينة أن ينوي زيارة المسجد لا القبر فإذا وصل زار القبر الشريف وسلم على النبي ﷺ وعلى صاحبيه رضي الله عنهما دون أن يقف أو يتحرى الدعاء عند القبر ، أو يستقبل القبر أثناء الدعاء ؛ والأخطر من ذلك ما يفعله بعض الجهال من دعاء الرسول

ﷺ فيما لايقدر عليه إلا الله ؛ فهذا شرك ناقل عن الملة . وكذلك أحاديث النور المحمدي فهي كلها أحاديث باطلة وقد أدى الاعتماد عليها إلى ظهور ما يعرف بعقيدة النور المحمدي والزعم بأنه ﷺ خلق قبل كل شيء وأن الله سبحانه خلق من نوره كل شيء.

وربما قال بعضهم : إن الكون إنما قد خلق لأجل محمد وهذا كله يخالف النصوص؛ فالكون خلق لعبادة الله والرسول ﷺ وجد عام الفيل وبعث بالدعوة إلى عباده الله ، وكذلك أدى بهم الغلو إلى اعتقاد أنه يعلم مفاتيح الغيب الخمسة كما قرر ذلك الصاوي في حاشيته على تفسير الجلالين .

ج) إتباع الظن والهوى كما قال الله تعالى : ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِى قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنْهُ ٱبْتِغَآءَ ٱلْفِتْنَةِ وَٱبْتِغَآءَ تَأْوِيلِهِۦ﴾ آل عمران: ٧ ؛ والزيغ هو " الميل عن الحق إتباعا للهوى" والهوى من أكبر أسباب الخروج عن الدين كما قال الله تعـــالى : ﴿إِن يَتَّبِعُونَ إِلَّا ٱلظَّنَّ وَمَا تَهْوَى ٱلْأَنفُسُ ۖ وَلَقَدْ جَآءَهُم مِّن رَّبِّهِمُ ٱلْهُدَىٰٓ ﴿٢٣﴾﴾ النجم: ٢٣

د) تقديم العقل على النص ؛ فالمتكلمون قدموا العقل حتى أنكروا كثيرًا من الصفات ، بل إن المعتزلة أنكروا بالعقل رؤية الله وكلامه وكذلك عذاب القبر ونعيمه.

هـ) التأثر بأصحاب الديانات السابقة ، وهذا من أكبر أسباب البدع ، وقد أشار النبي ﷺ إليه بقوله : (لتتبعن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة حتى لو دخلوا جحر ضب لدخلتموه) . وقد وقع ذلك فعلاً في العقائد والسلوك ؛ فالتشييع مثلاً كان بتأثير يهودي ؛ فعبد الله بن سبأ الذي وضع بذور التشييع كان يهوديا من يهود اليمن ، وبدعة القدرية إنما وضعها معبد الجهني الذي أخذها من سنسويه ؛ وهو نصراني ، وبدعة الجهمية ؛ وهي إنكار الصفات أخذها الجهم بن صفوان عن الجعد بن درهم وأخذها الجعد عن اليهود ، و بدعة الفناء و الحلول ووحدة الوجود أخذها الصوفية عن

الهندوس ، كما ذكر ذلك أبو الريحان البيروني في كتابه . وما ذكره ابن سينا في كتبه من المقالات الفلسفية إنما أخذها عن أرسطو وغيره من فلاسفة اليونان.

ولا زال هذا السبب يؤثر في المسلمين بقوة ؛ فالاشتراكية و التقدمية إنما هي بتأثير الشيوعية العالمية ، والعلمانية والديمقراطية والحداثة كلها من التأثر بالغرب ومن تأثير موجات التغريب والتنصير العالمية ، وهكذا موجات الإلحاد التي تظهر بين الفينة والفينة كثيرا ماتكون بتأثير اليهود والنصارى ؛ لتدمير المجتمعات الإسلامية المحافظة ﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِـُٔوا۟ نُورَ ٱللَّهِ بِأَفْوَٰهِهِمْ وَيَأْبَى ٱللَّهُ إِلَّآ أَن يُتِمَّ نُورَهُۥ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿٣٢﴾﴾ التوبة: ٣٢

الوحدة الثانية

معنى التوحيد وأنواعه

التوحيد لغة جعل الشيء واحدا ، أو اعتقاد الشيء واحدا .

وهو قسمان رئيسان:-

١ -توحيد المرسِل : وهو الله عز وجل ويعني : إفراد الله بما يختص به.

٢ -توحيد المرسَل ويعني : إفراد الرسول ﷺ بالطاعة والاتباع وتقديم قوله ﷺ على قول غيره . ويسميه بعض أهل العلم (توحيد المتابعة) .

وهذان التوحيدان هما مضمون الشهادة ؛ فلا إله إلا الله في توحيد المرسِل ، ومحمد رسول الله في توحيد المرسَل ، وعن هذين التوحيدين يسأل الأولون والآخرون كما قال أبو العالية " كلمتان يسأل عنها الأولون والآخرون ماذا كنتم تعبدون ، وماذا أجبتم المرسلين؟ "

فالسؤال الأول عن تحقيق توحيد المرسِل ، والسؤال الثاني عن تحقيق توحيد المرسَل.

شرح توحيد المرسِل

توحيد المرسِل يعني إفراد الرب بما يختص به وهو ينقسم باعتبارين : باعتبار المتعلق ، وباعتبار ما يجب على الموحد .

أما باعتبار المتعلق فينقسم التوحيد إلى ثلاثة أقسام :

أ- توحيد الربوبية ؛ وهو إفراد الله عز وجل بالخلق والملك والتدبير وسائر معاني الربوبية . وهذا النوع أصل أصيل في الإسلام ، ولكنه لا يكفي وحده للدخول في الإسلام ؛ فقد كان المشركون في الجاهلية يقرّون بهذا التوحيد ؛ فيؤمنون بأن الله هو الخالق المدبر إلا أنهم ينكرون البعث ، كما قال

تعـــــالى : ﴿ وَقَالُوٓاْ أَءِذَا كُنَّا عِظَٰمٗا وَرُفَٰتًا أَءِنَّا لَمَبۡعُوثُونَ خَلۡقٗا جَدِيدٗا ﴿٤٩﴾ ﴾ الإسراء: ٤٩ وكما قـــال : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلٗا وَنَسِيَ خَلۡقَهُۥۖ قَالَ مَن يُحۡيِ ٱلۡعِظَٰمَ وَهِيَ رَمِيمٞ ﴿٧٨﴾ ﴾ يس: ٧٨ . وكذلك كانوا ينكرون توحيد الألوهية كما قال الله تعـــــالى : ﴿ إِنَّهُمۡ كَانُوٓاْ إِذَا قِيلَ لَهُمۡ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ يَسۡتَكۡبِرُونَ ﴿٣٥﴾ وَيَقُولُونَ أَئِنَّا لَتَارِكُوٓاْ ءَالِهَتِنَا لِشَاعِرٖ مَّجۡنُونِۭ ﴿٣٦﴾ ﴾ الصافات: ٣٥ - ٣٦ ، وكما قال حكاية عنهم : ﴿ أَجَعَلَ ٱلۡأٓلِهَةَ إِلَٰهٗا وَٰحِدًاۖ إِنَّ هَٰذَا لَشَيۡءٌ عُجَابٞ ﴿٥﴾ ﴾ ص: ٥ ؛ فكان المشركون مع إيمانهم بالربوبية ينكرون توحيد الألوهية كما قال تعالى : ﴿ وَلَئِن سَأَلۡتَهُم مَّنۡ خَلَقَهُمۡ لَيَقُولُنَّ ٱللَّهُۖ فَأَنَّىٰ يُؤۡفَكُونَ ﴿٨٧﴾ ﴾ الزخرف: ٨٧ ؛ أي إذا كانوا يقرون بالربوبية فكيف يصرفون عن توحيد الألوهية ؟ ، وكما قال تعالى : ﴿ قُل لِّمَنِ ٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهَآ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلۡ مَن رَّبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ ٱلسَّبۡعِ وَرَبُّ ٱلۡعَرۡشِ ٱلۡعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ أَفَلَا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلۡ مَنۢ بِيَدِهِۦ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيۡءٖ وَهُوَ يُجِيرُ وَلَا يُجَارُ عَلَيۡهِ إِن كُنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِۚ قُلۡ فَأَنَّىٰ تُسۡحَرُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ المؤمنون: ٨٤ - ٨٩ ؛ ومع هذا الإقرار فإن الله عز وجل لم يرفع عنهم وصف الشرك لا اسماً ولا حكماً كما قال تعـــالى : ﴿ وَمَا يُؤۡمِنُ أَكۡثَرُهُم بِٱللَّهِ إِلَّا وَهُم مُّشۡرِكُونَ ﴿١٠٦﴾ ﴾ يوسف: ١٠٦

ب- توحيد الألوهية ؛ وهو البراءة من عبادة ما سوى الله وإفراد الله بجميع أنواع العبادة فلا بد في هذا التوحيد من أمرين (نفي و إثبات) ؛ فمن لم يأت بهما معاً فليس بموحد كما قال تعالى : ﴿ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنۡ إِلَٰهٍ غَيۡرُهُۥٓ ﴾ الأعراف: ٥٩ ، وقال : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾ النساء: ٣٦ ، وقـــال : ﴿ وَإِذۡ قَالَ إِبۡرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٞ مِّمَّا تَعۡبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُۥ سَيَهۡدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةَۢ بَاقِيَةٗ فِي عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الزخرف: ٢٦ - ٢٨.

وقد يعبر عن النفي بالكفر بالطاغوت وعن الإثبات بالإيمان بالله كما قال تعالى : ﴿ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾ البقرة: ٢٥٦ ؛ والعروة الوثقى هي التوحيد .

وتوحيد الألوهية هو مضمون الشهادة ؛ فالنفي في أولها والإثبات في آخرها فلا بد من نفي واثبات ؛ ولهذا قال علماء الدعوة : من لم ينف ما نفت (لا اله إلا الله) ويثبت ما أثبتت فليس بموحد.

ج- توحيد الأسماء والصفات ؛ وهو إفراد الله عز وجل بكل ما ثبت له من الأسماء الحسنى والصفات العلا دون تمثيل أو تعطيل كما قال الله تعالى : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ فَٱدْعُوهُ بِهَا ﴾الأعراف: ١٨٠ وقال : ﴿وَلِلَّهِ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ ﴾النحل: ٦٠ ؛ أي الوصف الأعلى وقال : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ الشورى: ١١ . وهذا التوحيد هو ينبوع الإيمان ومادته وكلما ازداد العبد معرفة بأسماء الله وصفاته كلما ازداد إيمانا وحبا وخوفا ورجاء ؛ ولهذا كان السلف أعظم الناس إيمانا وكان المعطلة من أقسى الناس قلبا بل إن بعض السلف سمى المعطلة قطاع الطريق إلى الله وبعضهم سماهم ملشية ؛ لأن مآل قولهم إلى إن الله لا شيء فالذي لا اسم له ولا وصف هو المعدوم.

ولأهمية هذا التوحيد كثرت نصوصه عددا وقدرا ؛ ويكفي دليلا على ذلك أن أعظم آية في كتاب الله كلها في توحيد الصفات ؛ وهي آية الكرسي .

وأما باعتبار ما يجب على الموحد فتوحيد المرسل قسمان :

الأول : التوحيد العلمي ؛ وهو التوحيد الذي يتطلب من المكلف علما وإيمانا بمعاني الربوبية وصفات الكمال فيدخل في ذلك توحيد الربوبية وتوحيد الصفات ويسمى هذا التوحيد أيضا بالتوحيد القولي ويسمى أيضا بالتوحيد الاعتقادي ويسمى أيضا بالتوحيد الخبري لأن مبناه على الخبر الدائر بين النفي والإثبات من قبل المخبِر (الله) المقابل بالتصديق أو التكذيب من قبل المخبَر (المكلف) . كما في قوله تعالى : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ ؛ فهذا الخبر من قبل الله تعالى دائر بين النفي والإثبات ؛ نفي التمثيل وإثبات السمع والبصر لله . والمكلف إما أن يقابله بالتصديق فيكون مؤمنا أو بالتكذيب فيكون كافرا والعياذ بالله .

والثاني: التوحيد العملي ؛ وهو التوحيد الذي يتطلب من المكلف عملا بعبادة الله وحده بلا شريك ؛ وهذا هو توحيد الألوهية أو توحيد العبادة ويسمى بالتوحيد القصدي ويسمى أيضاً بالتوحيد الإرادي ؛ لأن مبناه على إخلاص القصد والإرادة لله وحده ويسمى أيضا بالتوحيد الطلبي ؛ لأنه دائر

بين الأمر والنهي من قبل الرب سبحانه ، مقابل بالامتثال أو الترك من قبل العبد ؛ فمثلا قوله تعـــالى : ﴿ وَٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَلَا تُشۡرِكُواْ بِهِۦ شَيۡـٔٗا ﴾النساء: ٣٦ ؛ هذا التوحيد العملي دائر بين الأمر بالعبادة والنهي عن الشرك من قبل الرب سبحانه ، ويقابله المكلف إما بالامتثال فيكون موحدا وإما بالترك فيكون مشركاً كافراً .

وأدلة هذا التوحيد كثيرة جدا من أشهرها سورة الكافرون فهي خالصة لهذا التوحيد كما أن سورة الإخلاص خالصة للتوحيد العلمي ؛ ولهذا كان الرسول ﷺ يقرأ بهما في ركعتي الفجر وركعتي المغرب وركعتي الطواف .

س/ ما العلاقة بين أنواع التوحيد ؟

١ - توحيد الربوبية يستلزم توحيد الألوهية ؛ فالربوبية بمنزلة الدليل والألوهية بمنزلة المدلـــول ؛ ولهذا جعله الله دليلا على الألوهية في كثير من آيات القرآن كما في قوله تعالى : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِي خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ ٢١ ٱلَّذِي جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ فِرَٰشٗا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءٗ وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجَ بِهِۦ مِنَ ٱلثَّمَرَٰتِ رِزۡقٗا لَّكُمۡۖ فَلَا تَجۡعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٢ ﴾ البقرة: ٢١ - ٢٢ فجعل إنفراده سبحانه بالخلق والعناية دليلا على وجوب إفراده بالعبادة .

٢- توحيد الصفات يستلزم توحيد الألوهية وهو من أدلته أيضا ؛ ولهذا جعل الله عز وجل أسماءه وصفاته دليلا على وجوب إفراده وحده بالعبادة قال تعالى : ﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَۖ عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِۖ هُوَ ٱلرَّحۡمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ٢٢ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِي لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡمَلِكُ ٱلۡقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلۡمُؤۡمِنُ ٱلۡمُهَيۡمِنُ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡجَبَّارُ ٱلۡمُتَكَبِّرُۚ سُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٢٣ هُوَ ٱللَّهُ ٱلۡخَٰلِقُ ٱلۡبَارِئُ ٱلۡمُصَوِّرُۖ لَهُ ٱلۡأَسۡمَآءُ ٱلۡحُسۡنَىٰۚ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٢٤ ﴾ الحشر: ٢٢ - ٢٤ ، وقال : ﴿ وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦ وَٱلۡأَرۡضُ جَمِيعٗا قَبۡضَتُهُۥ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ مَطۡوِيَّٰتُۢ بِيَمِينِهِۦۚ سُبۡحَٰنَهُۥ وَتَعَٰلَىٰ عَمَّا يُشۡرِكُونَ ٦٧ ﴾ الزمر: ٦٧

٣- توحيد الألوهية يتضمن توحيد الربوبية وتوحيد الصفات ؛ لأن العبد لا يتوجه بعباداته وخوفه ورجائه إلا لمن آمن باجتماع معاني الربوبية فيه وانفراده بصفات الكمال ؛ ولهذا جعل الله عز وجل

صفات النقص دليلا على بطلان الشرك في العبادة كما قال تعالى : ﴿ وَٱتَّخَذَ قَوْمُ مُوسَىٰ مِنۢ بَعْدِهِۦ مِنْ حُلِيِّهِمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ ۚ أَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّهُۥ لَا يُكَلِّمُهُمْ وَلَا يَهْدِيهِمْ سَبِيلًا ۘ ٱتَّخَذُوهُ وَكَانُوا۟ ظَٰلِمِينَ ﴿١٤٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٤٨ وقال حكاية عن إبراهيم عليه السلام : ﴿يَٰٓأَبَتِ لِمَ تَعْبُدُ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِى عَنكَ شَيْـًٔا ﴿٤٢﴾ ﴾ مريم: ٤٢ ؛ فجعل صفات النقص دليلا على بطلان ألوهية ماعبد من دون الله تعالى .

شرح توحيد المرسَل ﷺ

ويسميه بعض العلماء (توحيد المتابعة) ؛ وهو إفراد النبي ﷺ بالطاعة والاتباع وتقديم قوله على قول غيره كائناً من كان . ولابد في هذا التوحيد أربعة أمور:-

١) تصديق النبي ﷺ فيما اخبر ؛ وهذا جوهر التوحيد وروحه فمن لم يصدق النبي ﷺ في شيء مما جاء به فليس بموحد ومن صدقه في كل ما جاء به فهو المؤمن حقا كما قال تعالى : ﴿ وَٱلَّذِى جَآءَ بِٱلصِّدْقِ وَصَدَّقَ بِهِۦٓ ۙ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُتَّقُونَ ﴿٣٣﴾ ﴾ الزمر: ٣٣ . ويدخل في ذلك تصديقه في الأمور التي يحار فيها العقل كالإسراء والمعراج وعذاب القبر ونعيمه و بعض صفات اليوم الآخر . ونظرا لأهمية هذا الأصل في تحقيق توحيد المتابعة كثرت أدلته حتى زادت على الألف ؛ فمنها البشارات والإرهاصات والآيات الحسية ومنها ما هو من المسلك الشخصي ومنها ما هو من المسلك النوعي ؛ ولهذا كان الصحابة رضي الله عنهم في الرتب العليا من اليقين ؛ لأنهم شاهدوا كل أو معظم هذه الأدلة.

٢) طاعة النبي ﷺ فيما أمر ؛ قال تعالى : ﴿مَّن يُطِعِ ٱلرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ ٱللَّهَ ﴾النساء: ٨ ، وقال : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَأَطِيعُوا۟ ٱلرَّسُولَ ﴾ النساء: ٥٩ ، وقال : ﴿ قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾ ﴾ آل عمران: ٣١ ؛ فمن خالف النبي ﷺ في شيء من أمره فاته من هذا التوحيد بقدر مخالفته .

٣) اجتناب ما نهى عنه النبي ﷺ وزجر ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمْ عَنْهُ فَٱنتَهُوا۟ ﴾الحشر: ٧ ، وقال الرسول ﷺ (إذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه) ؛ فلا بد من اجتناب كل ما نهى عنه الرسول ﷺ وبخاصة الكبائر .

٤) ألا يعبد الله عز وجل إلا بما شرعه رسوله ﷺ ؛ كما قال ﷺ : (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) ؛ وكما قال ﷺ (كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار) ؛ فالبدع تنافي توحيد المتابعة بل إن الإمام مالك ذكر أنها تقدح في اعتقاد كمال الدين ؛ ولهذا عظّم أهل العلم شأن البدع وذكر بعضهم أنها أكبر من الكبائر .

ومن أعظم ما ينافي توحيد المتابعة اعتقاد أن هناك طريقا للعبادة سوى الإسلام ؛ كمن يعتقد انه يصح التدين باليهودية أو النصرانية فإن الله يقول : ﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ ٱلْإِسْلَٰمِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٨٥﴾ ﴾ آل عمران: ٨٥ ، وقال ﷺ : (والذي نفسي بيده لا يسمع بي يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بالذي جئت به إلا ادخله الله النار) . ومما ينافي توحيد المتابعة تقديم قول غير الرسول ﷺ على قوله أو حكمه على حكمه ﷺ كما قال تعالى : ﴿ فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا۟ فِىٓ أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا۟ تَسْلِيمًا ﴿٦٥﴾ ﴾ النساء: ٦٥ ، وقال تعالى : ﴿ فَلْيَحْذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٦٣﴾ ﴾ النور: ٦٣ ؛ فمن قدم العادة أو العرف على سنة الرسول ﷺ فله نصيب من ذلك .

وكذلك من فضّل تحكيم القوانين على حكمه ﷺ أو قدّم قول إمامه على سنة الرسول ﷺ أو قدم العقل على النقل أو الكشف على الشرع فكل واحد من هؤلاء له نصيبه من الإخلال بتوحيد المتابعة .

الوحدة الثالثة

مختصر أصول الاعتقاد

أصول الاعتقاد هي : الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره . وفيما يلي شرح مختصر لكل واحد من هذه الأصول : -

أولا : الإيمان بالله تعالى

هذا أصل الأصول ، وقد ذكر أهل العلم أنه لابد في الإيمان بالله من اجتماع أربعة أمور :-

١ - الإيمان بوجود الله تعالى ، وهو فطري في حق أصحاب الفطر السليمة ، وأما من طرأ على فطرته انحراف فيحتاج إلى استدلال على هذا الأصل ، وأدلته كثيرة ، منها : -

- دليل الخلق والاختراع ، فما يعلمه كل عاقل من وجود المخلوقات بعد العدم دليل قاطع على وجود الخالق ؛ لافتقار المخلوق إلى الخالق ، واحتياج المحدث للمحدث ، قال تعالى : ﴿ أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ الطور: ٣٥ - ٣٦ ، قال ابن تيمية : (معلوم بضرورة العقل أن المحدث لابد له من محدث ، وأنه يمتنع تسلسل المحدثات باتفاق العقلاء ، وذلك بأن يكون للمحدث محدث وللمحدث محدث إلى غير غاية) .

- دليل الإتقان ؛ فكل مخلوق يحمل من كمال الإتقان ما يدل على خالقه ، قال تعالى : ﴿ وَتَرَى ٱلْجِبَالَ تَحْسَبُهَا جَامِدَةً وَهِىَ تَمُرُّ مَرَّ ٱلسَّحَابِ ۚ صُنْعَ ٱللَّهِ ٱلَّذِىٓ أَتْقَنَ كُلَّ شَىْءٍ ﴾النمل: ٨٨ ، وقال : ﴿ ٱلَّذِىٓ أَحْسَنَ كُلَّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴾السجدة: ٧.
- دليل التناسق ؛ فالمخلوقات كلها متوافقة توافقا دقيقا يدل على الخالق وكماله ، قال تعالى : ﴿ لَا ٱلشَّمْسُ يَنۢبَغِى لَهَآ أَن تُدْرِكَ ٱلْقَمَرَ وَلَا ٱلَّيْلُ سَابِقُ ٱلنَّهَارِ ۚ وَكُلٌّ فِى فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٤٠﴾ ﴾ يس: ٤٠ ، وقال : ﴿ وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ النحل: ١٢ .
- دليل الهداية العامة ، فهداية كل مخلوق إلى ما خلق له من أعظم الأدلة على الخالق ، قال تعالى : ﴿ قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَٰمُوسَىٰ ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِىٓ أَعْطَىٰ كُلَّ شَىْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ ﴾ طه: ٤٩ ـ ٥٠ ؛ قال ابن القيم : (الهداية العامة قرينة الخلق في الدلالة على الرب ، ومعنى الآية : أن الله أعطى كل شيء من الخلق ما يصلح له ، ثم هداه لما خلق له) أ. هـ مختصرا .
- وهناك أدلة أخرى كثيرة سوى ما ذكر ؛ كآيات الأنبياء ، وكرامات الأولياء ، وإجابة الدعوات فكلها براهين حسية عقلية على وجود الخالق وكماله .

٢ - <u>الإيمان بربوبيته</u> ؛ وهو قدر زائد على مجرد الإقرار بوجود الله تعالى ؛ لأنه يعني الإيمان بانفراده سبحانه بجميع معاني الربوبية ؛ كالخلق والتدبير والملك . قال تعالى : ﴿ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَىْءٍ ﴾ الزمر: ٦٢ ، وقال : ﴿ لِلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ﴾الشورى: ٤٩ ، وقال : ﴿ قُلِ ٱللَّهُمَّ مَٰلِكَ ٱلْمُلْكِ تُؤْتِى ٱلْمُلْكَ مَن تَشَآءُ وَتَنزِعُ ٱلْمُلْكَ مِمَّن تَشَآءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَآءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَآءُ ۖ بِيَدِكَ ٱلْخَيْرُ ۖ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَتُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ ۖ وَتُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ

ٱلْمَيِّتَ مِنَ ٱلْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٢٧﴾ ﴾ آل عمران: ٢٦ - ٢٧ . وانتظام أمر العالم كله أدل دليل على أن مدبره إله واحد ، قال تعالى : ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ ﴾ المؤمنون: ٩١ .

٣ - الإيمان بألوهيته ؛ وذلك بالبراءة من عبادة ما سوى الله تعالى وإفراده بجميع أنواع العبادة ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِى بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ﴿٢٦﴾ إِلَّا ٱلَّذِى فَطَرَنِى فَإِنَّهُۥ سَيَهْدِينِ ﴿٢٧﴾ وَجَعَلَهَا كَلِمَةًۢ بَاقِيَةً فِى عَقِبِهِۦ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ الزخرف: ٢٦ - ٢٨ ، وقال : ﴿ فَمَن يَكْفُرْ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤْمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسْتَمْسَكَ بِٱلْعُرْوَةِ ٱلْوُثْقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَا ﴾البقرة: ٢٥٦ ، وقال : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُوا۟ ٱلطَّٰغُوتَ ۖ ﴿٣٦﴾ ﴾ النحل: ٣٦ .

وبراهين هذا التوحيد كثيرة في القرآن إلا أن معظمها يرجع لأربعة أنواع :-

- الاستدلال بتوحيد الربوبية ؛ قال تعالى :﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ۖ مَا مِن شَفِيعٍ إِلَّا مِنۢ بَعْدِ إِذْنِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ فَٱعْبُدُوهُ ۚ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ﴿٣﴾ ﴾ يونس: ٣ .
- الاستدلال بتوحيد الصفات ؛ فجميع صفات الكمال أدلة على توحيد العبادة ؛ سواء صرح بذكر لازمها ؛ كقوله تعالى : ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَىُّ ٱلْقَيُّومُ ﴾البقرة: ٢٥٥ ، أو ذكرت مجردة ، كقوله تعالى : ﴿ ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾ ﴾ طه: ٥ ؛ قال ابن تيمية – رحمه الله – : (الله سبحانه لم يذكر هذه النصوص لمجرد تقرير الكمال له ، بل ذكرها لبيان أنه المستحق للعبادة دون ما سواه) .

- الاستدلال بأوصاف الآلهة الباطلة من حدوث وعجز وفقر على بطلان ألوهيتها واستحقاق الله وحده للعبادة ؛ قال تعالى : ﴿ أَيُشْرِكُونَ مَا لَا يَخْلُقُ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ ﴿١٩١﴾ وَلَا يَسْتَطِيعُونَ لَهُمْ نَصْرًا وَلَا أَنفُسَهُمْ يَنصُرُونَ ﴿١٩٢﴾ ﴾ الأعراف: ١٩١ - ١٩٢ ، وقال : ﴿وَالَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِهِ مَا يَمْلِكُونَ مِن قِطْمِيرٍ ﴿١٣﴾ إِن تَدْعُوهُمْ لَا يَسْمَعُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ ۖ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ ۚ وَلَا يُنَبِّئُكَ مِثْلُ خَبِيرٍ ﴿١٤﴾ ﴾ فاطر: ١٣ - ١٤.
- الاستدلال بضرب الأمثال في المعاني ؛ كقوله تعالى : ﴿ مَثَلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِن دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ كَمَثَلِ الْعَنكَبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا ۖ وَإِنَّ أَوْهَنَ الْبُيُوتِ لَبَيْتُ الْعَنكَبُوتِ ۖ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ﴿٤١﴾ ﴾ العنكبوت: ٤١ .

٤ - الإيمان بأسمائه وصفاته ؛ وذلك بإفراد الله تعالى بكل ما ثبت له من الأسماء الحسنى والصفات العلا دون تمثيل أو تعطيل ؛ قال تعالى : ﴿وَلِلَّهِ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ فَادْعُوهُ بِهَا ﴾الأعراف: ١٨٠ وقال : ﴿ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ ﴾النحل: ٦٠ ؛ أي الوصف الأعلى ، وقال : ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾ ﴾ . والأسماء الحسنى الثابتة في الكتاب والسنة أنواع :-

- منها ما يدل على صفة أو أكثر من صفات الكمال ؛ وهي غالب الأسماء الحسنى ؛ كالعليم والقدير والخالق والعزيز والجبار .
- ومنها ما يدل على جميع صفات الكمال ؛ كالصمد والمجيد والعظيم والواسع .
- ومنها ما يدل على التنزيه ؛ كالقدوس والسلام والسبوح والطيب .
- ومنها ما يدل على الكمال حال الاقتران أو الإضافة ؛ كالقابض والباسط ، وذي الجلال والإكرام .

- ومنها الأسماء المركبة ؛ كرب العالمين وأرحم الراحمين وخير الرازقين ؛ وهي أظهر في الدلالة على الرب من بعض الأسماء المفردة ؛ لأنها لا تطلق إلا على الله وحده ؛ ولهذا قال علماء السلف : إن أخص أوصاف الإله مالا يطلق إلا على الله وحده ؛ كهذه الأسماء وما يشبهها من الصفات ؛ ككونه بكل شيء عليم ؛ وعلى كل شيء قدير ؛ فهذه أخص أوصاف الإله ؛ لأنها لا تطلق على غيره ؛ خلافا لمن جعله القدم أو الخلق .

وأما صفات الكمال فتنقسم باعتبار مدلولها إلى ثبوتية وسلبية ؛ فالسلبية هي مانفاه الله تعالى عن نفسه من النقائص المتصلة ؛ كاللغوب والظلم والعبث . أو النقائص المنفصلة ؛ كالمثل والصاحبة والولد ؛ فيجب تنزيه الله تعالى عن جميع هذه الصفات مع إثبات ضدها على الوجه الأكمل .

والصفات الثبوتية هي كل ما أثبته الله لنفسه في كتابه أو على لسان رسوله من صفات الكمال ؛ كالحياة والعلم والقدرة والوجه واليد والعين .

وقد توسع أهل السنة والجماعة في الكلام في بعض الصفات ؛ لكثرة الشبهات حولها ، ومن ذلك الصفات التالية :-

- صفة العلو ؛ فقد أجمع أهل السنة والجماعة على إثبات العلو بجميع مراتبه ؛ علو الذات والقهر والقدر ؛ خلافا لمن أنكر علو الذات ، وزعم أن الله لا داخل العالم و لاخارجه !!

وقد استدل السلف على علو الذات بالفطرة والعقل و الإجماع والنقل الذي بلغت أنواعه عشرين دليلا ، وزادت آحاده على ألف دليل ؛ كنصوص الفوقية ، والعلو ، والاستواء ، والنزول ، والعروج .

والعلو عند السلف لايناقض المعية ؛ فالله فوق العرش وعلمه في كل مكان ؛ خلافا لمن قال بوحدة الوجود ، أو زعم أن الله بذاته في كل مكان وليس بمستو على عرشه ، أو تناقض ؛ فزعم أن الله بذاتـه فوق العرش وهو بذاته في كل مكان !!

- صفة الكلام ؛ فالله تعالى لم يزل متكلماً إذا شاء ومتى شاء وكيف شاء وبكلام يقوم به ، وهو يتكلم به بحرف وصوت يسمع ، وأن نوع الكلام قديم وإن لم يكن الصوت المعين قديماً ؛ فصفة الكلام أزلية النوع كسائر صفات الله خلافاً للكرامية الذين قالوا بحدوثها فراراً من إثبات حوادث لا أول لها (التسلسل). والكلام من الصفات التابعة لمشيئة الله خلافاً للأشاعرة الذين جعلوها صفة ذاتية ، فالكلام وإن كان أزلي النوع إلا أن آحاده متجددة تبعاً لمشيئة الله . وكذلك الكلام من الصفات القائمة بذات الله خلافاً للمعتزلة الذين جعلوا الكلام مخلوقا منفصلا عن الله لا وصفا قائما به ؛ ولهذا قالوا بخلق الكلام والقرآن . والصوت عند السلف داخل في مسمى الكلام ، فاللفظ كالمعنى كلاهما يمثلان حقيقة الكلام ، وعلى هذا تدل النصوص كحديث: «إن الله ينادي بصوت يسمعه من بعد كما يسمعه من قرب».
- صفة الرؤية ؛ فقد أجمع أهل السنة على الإيمان بأن أهل الجنة يرون الله تعالى رؤية بصرية ؛ خلافا للجهمية والمعتزلة الذين زعموا أنها رؤية علمية لا بصرية ؛ قال تعالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ القيامة: ٢٢ - ٢٣ ، وقال : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُوا الْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ يونس: ٢٦ ، وقال ﷺ : (إنكم سترون ربكم عيـــــانا) . وقد وافق الأشاعرة أهل السنة على إثبات الرؤية ووافقوا المعتزلة على نفي العلو ؛ فقالوا : إن الله يرى لا في جهة ! وهو كلام غير

معقول ؛ ولهذا جنح الرازي وغيره من الأشاعرة إلى تفسيرها بزيادة العلم ؛ فصار خلافهم مع المعتزلة كما قال الرازي : لفظيا أو قريبا منه !!

أما رؤية الله تعالى في الدنيا فهي محالة ؛ لعجز العباد عنها لا لاستحالتها في ذاتـــها ؛ قال تعالى : ﴿ وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ قَالَ لَن تَرَىٰنِي ﴾ الأعراف: ١٤٣ ؛ ولقوله ﷺ : (لن يرى أحد منكم ربه حتى يموت) ؛ وقد أجمع أهل السنة على ذلك ، لم يتنازعوا إلا في رؤية النبي ﷺ ليلة المعراج ، والنصوص على النفي أدل من الإثبات والله تعالى أعلم . وكذلك اختلف أهل السنة في رؤية الله تعالى في عرصات القيامة ؛ هل تحصل لجميع أهل الموقف ، أو تحصل للمؤمن والمنافق ، أو يختص بها المؤمنون ؟ النصوص تدل للأول ولكنها في حق المؤمن رؤية نعيم وفي حق غيره رؤية تعريف .

ثانيا : الإيمان بالملائكة

ولابد في الإيمان بالملائكة من عدة أمور ؛ منها : -

١ - الإيمان بأنهم مخلوقات نورانية الأصل ، مربوبة محسوسة ؛ خلافا لمن زعم من الفلاسفة بأنها من جنس المجردات التي تخيلوها ، وأن العقول العشرة هم الكروبيون ، والملائكة السماوية هي النفوس الفلكية ، والملائكة الأرضية الموكلة بالإنسان عبارة عن قوى الخير المحمودة كما أن الشياطين قوى النفس المذمومة !!

٢ - الإيمان بأصناف الملائكة الموكلين بأصناف المخلوقات ؛ فوكل سبحانه بالجبال ملائكة ، ووكل بالسحاب ملائكة ، ووكل بالرحم ملائكة ، ووكل بالعبد ملائكة لحفظه وملائكة لحفظ عمله وكتابته ، ووكل بالموت ملائكة ، ووكل بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها ملائكة ، ووكل بالجنة

وعمارتها وغراسها ملائكة إلى غير ذلك من أصناف الملائكة التي لا يحصيها إلا الله تعالى : ﴿وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ ﴾المدثر: ٣١ ، قال ابن القيم – رحمه الله – : (الله سبحانه وكل بالعالم العلوي والسفلي ملائكة ؛ فهي تدبر أمر العالم بإذنه ومشيئته ؛ فلهذا يضيف التدبير إلى الملائكة تارة لكونهم هم المباشرون للتدبير ، كقوله : ﴿ فَٱلْمُدَبِّرَٰتِ أَمْرًا ۝٥ ﴾ النازعات: ٥ ويضيف التدبير إليه كـــقوله : ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۖ يُدَبِّرُ ٱلْأَمْرَ ﴾يونس: ٣ ؛ فهو المدبر أمرا وإذنا ومشيئة ، والملائكة المدبرات مباشرة وامتثالا) . وقال : (لفظ الملك يشعر بأنه رسول منفذ لأمر غيره ، فليس له من الأمر شيء ، بل الأمر لله الواحد القهار ، وهم ينفذون أمره لايسبقونه بالقول وهم بأمره يعملون) .

٣ – الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه ، ؛ كجبريل وميكائيل وإسرافيل ، وهؤلاء هم الموكلون بالحياة ؛ فجبريل موكل بالوحي الذي به حياة القلوب ، وميكائيل موكل بالقطر الذي به حياة الأرض والنبات والحيوان ، وإسرافيل موكل بالنفخ في الصور الذي به حياة الخلق بعد مماتهم .

٤ – الإيمان بما علمنا من صفاتهم ؛ كالقوة على تنفيذ أمر الله ، والأمانة ، وعظمة الخلق ، والكثرة والطاعة ؛ فهم الصافون ، وهم المسبحون ؛ قد أطت بهم السماء وحق لها أن تئط ، مافيها موضع إلا وملك قائم ، أو راكع أو ساجد .

ثالثا : الإيمان بالكتب

لابد في هذا الأصل من عدة أمور ؛ منها : -

١ -الإيمان بأنها منزلة من عند الله حقا بوساطة الملك الموكل بالوحي ؛ وهو جبريل عليه السلام ؛ خلافا لمن أنكر هذه الوساطة ، وزعم أنها مجرد فيض فاض على النبي ﷺ من العقل الفعال ، أو أنها مخلوقة وليست منزلة من عند الله تعالى .

٢ -الإيمان بأنها كلام الله حقا ؛ سمعها الملك الموكل بالوحي من الله تعالى لفظا ومعنى ، ثم نقلها للنبي ﷺ كما سمعها ؛ خلافا لمن زعم أن كلام الله تعالى مجرد المعنى ، وأن الرسول الملكي أو البشري حكاه أو عبر عنه بلفظ من عنده .

٣ -الإيمان بما علمنا اسمه منها باسمه ؛ كالتوراة والإنجيل والقرآن ، مع الجزم بأن الله تعالى صان القرآن عما وقع في غيره من التحريف ؛ قال تعالى : ﴿ إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ﴿٩﴾ ﴾ الحجر: ٩.

٤ -الإيمان بأن القرآن أشرف الكتب وأكملها والمهيمن عليها ؛ ولهذا لا يحل لأحد بعد نزوله إلا اتباعه ظاهرا وباطنا وإلا كان كافرا حتى برسوله الذي يزعم أنه متبع لشريعته ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُم مِّن كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِ وَلَتَنصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُم مِّنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ آل عمران: ٨١ ؛ قال ابن عباس : لم يبعث الله نبيا إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث محمد وهو حي ليؤمنن به ولينصرنه ، وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمنن نبه ولينصرنه .

رابعا : الإيمان بالرسل

لابد في الإيمان بالرسل من عدة أمور منها : -

١ - الإيمان بحاجة البشر إلى الرسالة ، وأنها فوق كل حاجة ، خلافا لمن زعم بأن في العقل كفاية عنها ؛ فالرسالة ضرورية للعبد في إصلاح معاشه ومعاده ؛ ولا طريق لمعرفة الرب بأسمائه وصفاته ، ومعرفة مواقع رضاه وسخطه ، ومعرفة ثوابه وعقابه إلا عن طريق الرسل . والعقل وإن اهتدى لذلك فعلى وجه الإجمال والظن . أما معرفة ذلك على سبيل التفصيل واليقين فسبيله الرسالة ليس غير .

٢ - الإيمان بأن الرسالة اصطفاء لا اكتساب ﴿ ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ ﴾ الحج: ٧٥ ؛ فالله تعالى يختص برسالته من يشاء من خيرة خلقه في عقله ودينه وخلقه ؛ خلافا لمن زعم من الفلاسفة أنها اكتساب طريقه كمال القوة القدسية والخيالية والنفسية ، ومن زعم من المعتزلة أنها جزاء على عمل سابق ؛ بناء على أصلهم في التعديل و التجوير ، وأن الله لا يفضل أحدا على أحد برحمة بل بعمل سابق . وخلافا لمن قابلهم من الأشاعرة ؛ فزعم أن النبوة مجرد صفة إضافية ؛ هي مجرد الإعلام بالوحي والأمر بالتبليغ ، ولا ترتبط بصفة ثبوتية في النبي ؛ وذلك بناء على أصلهم في نفي الحكم في الأفعال الإلهية ، و تجويز فعل كل ممكن !

٣ - الإيمان بأن الرسالة قد عمت كل أمة ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِن مِّنۡ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا فِيهَا نَذِيرٞ ﴿٢٤﴾ ﴾ فاطر: ٢٤ ، وقال : ﴿ وَلَقَدۡ بَعَثۡنَا فِي كُلِّ أُمَّةٖ رَّسُولًا أَنِ ٱعۡبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجۡتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَۖ فَمِنۡهُم ﴾ النحل: ٣٦ ، وأن الله لا يعذب أحـــدا إلا بعد قيـام الحجة الرسالية ؛ كما قال تعالى : ﴿ وَمَا كُنَّا

مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴿١٥﴾ ﴾ الإسراء: ١٥ ، وقال : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ حَتَّىٰ يَبْعَثَ فِيٓ أُمِّهَا رَسُولًا ﴾ القصص: ٥٩ .

٤ - الإيمان بمن علمنا اسمه منهم باسمه ؛ كنوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام . والإيمان بأن لله تعالى رسلا وأنبياء سواهم لا يعلمهم إلا الله وحده ؛ قال تعالى : ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلًا مِّن قَبْلِكَ مِنْهُم مَّن قَصَصْنَا عَلَيْكَ وَمِنْهُم مَّن لَّمْ نَقْصُصْ عَلَيْكَ ﴾غافر: ٧٨ .

٥ - الإيمان بما كانوا عليه من الصفات الحميدة ؛ كالصدق والبر والرشد والأمانة والنصح في تبليغ الرسالة . وكذلك الإيمان بما ثبت من أخبارهم ؛ كقصة إبراهيم مع قومه ، ويوسف مع إخوته ، وموسى مع فرعون .

٦ - الإيمان بأن الله تعالى أيد كل نبي بآية تدل على صدقه ، قال تعالى : ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِٱلْبَيِّنَٰتِ ﴾ الحديد: ٢٥ ؛ أي بالأدلة والبراهين التي تدل على صدقهم وتبين صحة دينهم ، وقال ﷺ : (ما من الأنبياء نبي إلا أوتي من الآيات ما على مثله آمن البشر) . وهذه الآيات برهانية الدلالة على صدقهم وصحة دينهم . وتكذيب من كذب مرجعه إلى اتباع الهوى لا لقصور في دلالة الآيات قال تعالى : ﴿ وَكَذَّبُوا۟ وَٱتَّبَعُوٓا۟ أَهْوَآءَهُمْ ﴾القمر: ٣ ، وقال : ﴿وَجَحَدُوا۟ بِهَا وَٱسْتَيْقَنَتْهَآ أَنفُسُهُمْ ظُلْمًا وَعُلُوًّا ﴾النمل: ١٤ ،. وآيات الأنبياء كثيرة جدا منها الخاص ؛ كناقة صالح ، وعصا موسى ، ومنها المشترك ؛ وهو حسن العاقبة ؛ فالرسل تبتلى ثم تكون العاقبة لها ، قال تعالى : ﴿ إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ ٱلْأَشْهَٰدُ ﴿٥١﴾ ﴾ غافر: ٥١.

وقد آتى الله رسوله محمدا ﷺ أكثر الآيات حتى زادت آياته على الألف ؛ منها ماهو من البشارات ، قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَفِى زُبُرِ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿١٩٦﴾ أَوَلَمْ يَكُن لَّهُمْ ءَايَةً أَن يَعْلَمَهُۥ عُلَمَٰٓؤُا۟ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿١٩٧﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٦

- ١٩٧ ، ومنها ماهو من الإرهاصات ؛ كشق صدره ﷺ وتطهيره من حظ الشيطان ، وهو طفل في الرابعة من عمره ، وكتسليم الحجر عليه قبل نبوته ﷺ ، ومنها ماهو من الآيات الحسية ، كانشقاق القمر ، ونبع الماء من بين أصابعه ﷺ ومنها ماهو من المسلك الشخصي ؛ كصفاته الحميده ، وأخباره الصادقة ، ونور وجهه وبهاء منظره وخاتم النبوة الذي كان بين كتفيه ﷺ ، ومنها ما هو من المسلك النوعي ؛ وهو موافقة شرعه لشرع من قبله في أصوله ومقاصده الكلية ؛ ولهذا قال النجاشي : (إن هذا والذي جاء به موسى ليخرج من مشكاة واحدة) !! وأعظم آياته ﷺ القرآن الكريم ؛ ولهذا قال ﷺ : (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر وإنما كان الذي أوتيته وحيا أوحاه الله إلي فأرجو أن أكون أكثرهم تابعا يوم القيامة) ؛ قال ابن حـجر: (ليس المراد حصر معجزاته فيه وإنما المراد أنه المعجزة العظمى) .

٧ - الإيمان بما خصهم الله به من الوحي ؛ وهو إما أن يكون إلهاما أو مناما ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَن يُكَلِّمَهُ ٱللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِن وَرَآئِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِۦ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ عَلِيٌّ حَكِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾ الشورى: ٥١ ؛ والوحي إما أن يكون مباشرا دون رؤية ؛ وقد حصل لموسى ومحمد عليهما السلام ، وإما أن يكون بوساطة ملك ، وهو غالب الوحي ؛ فيتمثل الملك في صورة رجل فيكلم النبي ﷺ فيعي عنه ما يقول ، أو يكون كصلصلة جرس ، وهو الأشد ، ويبدو أنه الذي كان يسمعه من حوله ﷺ كدوي النحل عند وجهه الشريف . والإلهام إما أن يكون نفثا في الروع (القلب) أو رؤيا منام ؛ وإلهام الأنبياء معصوم بخلاف إلهام غيرهم ؛ فقد يكون من قبل الملأ الأعلى ، وقد يكون حديث نفس ، أو تلبيسا من الشيطان ؛ ولهذا لا يجوز اعتباره إذا خالف دليلا شرعيا ؛ فإن لم يخالف جاز اعتباره في حق الملهم وحده في مواطن الاشتباه ، والترجيح بين الأقوال المتكافئة ، ونحو ذلك . والإيحاء بالقرآن الكريم لم يكن بكل طرق الوحي ، وإنما كان بوساطة ملك

الوحي ﷺ ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِنَّهُۥ لَتَنزِيلُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٩٢﴾ نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ ﴾ الشعراء: ١٩٢ - ١٩٤.

٨ - الإيمان بعصمتهم ؛ فالنبي ﷺ معصوم في تحمل الوحي ؛ فلا يخطئ في تحمله ولا ينسى ، ومعصوم في تبليغه ؛ فلا يكتم ولا يكذب و لا يحرف ، ولا يقر على خطأ ، ومعصوم من الكبائر ومن الاقرار على ما قد يقع من اللمم . وهذه العصمة لا تعني الخروج عن طبيعتهم البشرية ؛ فهم بشر تلحقهم الخصائص البشرية ؛ فيمرضون ، وينسون ، ويموتون ، ولا يعلمون من الغيب إلا ما أعلمهم الله تعالى ؛ قال تعالى : ﴿ قُلْ إِنَّمَآ أَنَا۠ بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ يُوحَىٰٓ إِلَيَّ ﴾ الكهف: ١١٠ ، وقال : ﴿ قُل لَّآ أَمْلِكُ لِنَفْسِى نَفْعًا وَلَا ضَرًّا إِلَّا مَا شَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَلَوْ كُنتُ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ لَٱسْتَكْثَرْتُ مِنَ ٱلْخَيْرِ وَمَا مَسَّنِىَ ٱلسُّوٓءُ ۚ إِنْ أَنَا۠ إِلَّا نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿١٨٨﴾ ﴾ الأعراف: ١٨٨ ؛ وليس لهم من خصائص الربوبية والألوهية شيء ؛ فهم رسل لا يكذبون وعباد لا يعبدون ؛ وقد وصفهم الله بالعبودية في آيات كثيرة ، ووصف سيدهم ﷺ بالعبودية في أعلى مقاماته ؛ وهي التنزيل والإسراء والدعوة والشفاعة ؛ لئلا يظن خاطئ أو مخطئ أن هذه الكمالات تعني إشراكهم في شيء من معاني الربوبية أو الألوهية .

٩ - الإيمان بفضل الأنبياء وتفاضلهم ؛ فهم أفضل الخلق ؛ قال تعالى : ﴿ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٨٦﴾ ﴾ الأنعام: ٨٦ ؛ خلافا لمن فضل الملائكة عليهم ، وخلافا لمن ضل ؛ ففضل الفيلسوف أو الولي على النبي ؛ لأنه يأخذ من المشكاة التي يأخذ منها الملك !! وهم على فضلهم متفاضلون بينهم ، قال تعالى : ﴿ تِلْكَ ٱلرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۘ مِّنْهُم مَّن كَلَّمَ ٱللَّهُ ۖ وَرَفَعَ بَعْضَهُمْ دَرَجَٰتٍ ﴾ البقرة: ٢٥٣ ، فأفضلهم أولو العزم ، وهم نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمد عليهم السلام ؛ وأفضل أولي العزم سيد ولد آدم محمد ﷺ؛ فضل بالقرآن ، والشفاعة العظمى ، وعموم الرسالة

وغير ذلك ؛ وهو خاتـــم النبيين ، قال تعالى : ﴿ مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ ﴾الأحزاب: ٤٠.

١٠ -الإيمان بهم جميعا دون تفريق ، قال تعالى : ﴿ قُولُوٓاْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَمَآ أُوتِىَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَآ أُوتِىَ ٱلنَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُۥ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ ﴾ البقرة: ١٣٦ ، وقال : ﴿ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ ﴾البقرة: ٢٨٥ ؛ فمن كذب واحدا منهم فقد كذب الجميع ؛ قال تعالى : ﴿ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾ ﴾ الشعراء: ١٠٥ ؛ فجعل تكذيبه تكذيبا لجميع الرسل ، مع أنهم لم يكذبوا غيره ؛ فهو أول رسول إلى أهل الأرض .

١١ -الإيمان بأن النبوة إنما تكون في الرجال دون غيرهم من النساء والجن ؛ قال تعالى : ﴿ وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُّوحِىٓ إِلَيْهِم مِّنْ أَهْلِ ٱلْقُرَىٰٓ ﴾يوسف: ١٠٩ ؛ قال الحسن (لم يبعث الله نبيا من أهل البادية ولا من النساء ولا من الجن) . وقال ابن عباس : الرسل من بني آدم ، ومن الجن نذر .

١٢ -الإيمان بوحدة الرسالات في أصول العقائد والشرائع ، واختلافها في تفاصيل الشرائع ، قال تعالى : ﴿ وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِى كُلِّ أُمَّةٍ رَّسُولًا أَنِ ٱعْبُدُواْ ٱللَّهَ وَٱجْتَنِبُواْ ٱلطَّٰغُوتَ ﴾النحل: ٣٦ ، وقال : ﴿ وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ الزخرف: ٤٥ ، وقـــال : ﴿ شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ أَنْ أَقِيمُواْ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُواْ فِيهِ ﴾الشورى: ١٣ ﴿ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا ﴾المائدة: ٤٨ ، وقال ﷺ: (إنا معاشر الأنبياء إخوة لعلات) ؛ وهم الإخوة لأب ؛ فكما أن الأب يجمعهم فكذلك الأنبياءأصول دينهم واحدة وشرائعهم مختلفة .

١٣ -الإيمان بضرورة اتباع سيد المرسلين ؛ فكل من بلغته دعوته وجب عليه اتباعه وإلا كان كافرا حتى بالرسول الذي يزعم أنه يؤمن به ! وهذا مقتضى الميثاق الذي أخذه الله على أنبيائه وأتباعهم ؛ قال تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ ﴾ آل عمران: ٨١ ؛ قال علي بن أبي طالب ﷺ : (ما بعث الله نبيا من الأنبياء إلا أخذ عليه الميثاق لئن بعث الله محمدا ﷺ وهو حي ليؤمن به ولينصرنه وأمره أن يأخذ الميثاق على أمته ؛ لئن بعث محمد وهم أحياء ليؤمن نبه ولينصرنه) ؛ وقال تعالى : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا ﴾ الأعراف: ١٥٨ ، وقال ﷺ : (أرسلت إلى الخلق كافة وختم بي النبيون) وقال ﷺ : (والذي نفس محمد بيده لا يسمع بي أحد من هذه الأمة ؛ يهودي ولا نصراني ثم يموت ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلا كان من أصحاب النار) .

خامسا : الإيمان باليوم الآخر

الإيمان باليوم الآخر أصل من أصول الإيمان ، ومباحثه كثيرة وهامة ؛ كأشراط الساعة ، وعذاب القبر ونعيمه ، وأدلة البعث وأحواله وأهواله ، وصفة الجنة ونعيم أهلها وصفة النار وعقوبات أهلها .

فأشراط الساعة هي العلامات التي تدل على قرب وقوعها ؛ وهي إما صغرى أو كبرى ؛ فالصغرى كثيرة جدا ؛ كموت النبي ﷺ وفتح بيت المقدس وطاعون عمواس واستفاضة المال وفتنة لا تدع بيتا من العرب إلا دخلته وغدر بني الأصفر . والكبرى عشر ؛ الدخان والدجال والدابة وطلوع

الشمس من مغربها ونزول عيسى بن مريم عليه السلام ويأجوج ومأجوج وخسف بالمشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج من اليمن تطرد الناس إلى محشرهم.

وعذاب القبر ونعيمه يراد به عذاب البرزخ ونعيمه وإنما خص بالقبر باعتبار الأعم الأغلب وإلا فكل من مات ناله نصيبه منه قبر أو لم يقبر . وقد دل على ثبوته القرآن والسنة المتواترة وأدلته التفصيلية مشهورة معلومة للخاص والعام . وهو غيب إذ لو كان شهادة لزالت حكمة التكليف والإيمان بالغيب ولما تدافن الناس ؛ ففي الحديث الصحيح : (لولا أن تدافنوا لدعوت الله أن يسمعكم من عذاب القبر ما أسمع) . وقد يطلع الله عليه بعض عباده لحكمة معينة ؛ والشواهد على ذلك كثيرة ذكر ابن القيم طرفا منها في كتابه (الروح) . وقد عني العلماء بذكر ما دلت عليه النصوص الصحيحة من أسباب عذاب القبر وموانعه ؛ فمن أسبابه ؛ عدم الاستبراء والتطهر التام من البول ، والغلول ، والنميمة ، والغيبة ، ومن موانعه الموت مرابطا ، أوشهيدا ، أو مبطونا ، والمحافظة على قراءة سورة الملك كل ليلة لحديث : (هي المانعة هي المنجية من عذاب القبر).

وأما أدلة البعث بعد الموت فهي كثيرة جدا منها :-

١ - الاستدلال على البعث بوقوعه في الدنيا ، وهو أعظم أدلة البعث إذ لا شئ أدل على إمكان الفعل من وجوده في العيان . وقد ذكر الله تعالى في سورة البقرة وحدها خمسا من هذه الوقائع ؛ كما في قوله تعالى : ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَـٰرِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَـٰهُمْ ﴾البقرة: ٢٤٣ ، وقوله : ﴿ وَإِذْ قُلْتُمْ يَـٰمُوسَىٰ لَن نُّؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَى ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْكُمُ ٱلصَّـٰعِقَةُ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٥﴾ ثُمَّ بَعَثْنَـٰكُم مِّنۢ بَعْدِ مَوْتِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ البقرة: ٥٥ - ٥٦ ؛ فقد ذكر أكثر المفسرين أن هؤلاء هم السبعون الذين خرج بهم موسى عليه السلام إلى طور سيناء ليعتذروا

من عبادة العجل فلما أتوا المكان الموعود طلبوا رؤية الله جهرة فأهلكهم الله لتعنتهم ثم أحياهم رجلا رجلا ؛ إكراما لموسى عليه السلام وآية للعالمين على القدرة التامة على البعث .

٢- قياس البعث على إحياء الأرض الميتة ، قال تعالى : ﴿ وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾ ﴾ فصلت: ٣٩ ؛ وهذا القياس في أصل الإحياء وكيفيته ، لحديث : (ينزل الله من السماء ماء فينبتون كما ينبت البقل ، ليس شئ من الانسان إلا يبلى إلا عظما واحدا وهو عجب الذنب ومنه يركب الخلق يوم القيامة) رواه البخاري ومسلم .

٣- قياس البعث على النشأة الأولى ، قال تعالى : ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِىَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ ﴾ يس: ٧٨ - ٧٩

﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ﴾ الروم: ٢٧؛ فمن قدر على النشأة الأولى من غير مثال يحتذى فقدرته على الإعادة من باب أولى .

٤- قياس القدرة على البعث على القدرة على خلق السموات والأرض ؛ لأن من قدر على الأجل الأعظم فقدرته على الأيسر الأصغر من باب أولى ، قال تعالى : ﴿ أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ ﴾ يس: ٨١ .

ثم بعد البعث يحشر الناس كافة إلى أرض المحشر المبدلة ؛ وهي أرض بيضاء كالفضة ، لم يسفك عليها دم حرام ، ولم يظلم على ظهرها أحد ، تطهر لنزول الحكم العدل جل جلاله ليقضي بين عباده بالحق ، قال تعالى : ﴿ وَحَشَرْنَٰهُمْ فَلَمْ نُغَادِرْ مِنْهُمْ أَحَدًا ﴿٤٧﴾ ﴾ الكهف: ٤٧ ، وقال : ﴿ يَوْمَ تُبَدَّلُ ٱلْأَرْضُ غَيْرَ ٱلْأَرْضِ وَٱلسَّمَٰوَٰتُ ۖ وَبَرَزُوا۟ لِلَّهِ ٱلْوَٰحِدِ ٱلْقَهَّارِ ﴿٤٨﴾ ﴾ إبراهيم: ٤٨ ، ثم يكون الحساب ووزن الأعمال والحوض والشفاعة حتى إذا قضي بينهم بالعدل والفضل ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ إِلَىٰ جَهَنَّمَ

زُمَرًا ﴾ الزمر: ٧١ ﴿ وَسِيقَ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوْا۟ رَبَّهُمْ إِلَى ٱلْجَنَّةِ زُمَرًا ﴾الزمر: ٧٣ وفي الجنة والنار يكون الاستقرار الأبدي والجزاء التام ، وقد ذكر الله في كتابه نماذج كثيرة مما يكون في دار الخلود ؛ ليستعد كل عاقل لما بين يديه من خير لا شر فيه وشر لا خير فيه .

فمما يكون في النار من صور العذاب والنكال الأمور التالية : -

١ - الإحراق ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِنَا سَوْفَ نُصْلِيهِمْ نَارًا كُلَّمَا نَضِجَتْ جُلُودُهُم بَدَّلْنَـٰهُمْ جُلُودًا غَيْرَهَا لِيَذُوقُوا۟ ٱلْعَذَابَ ﴾النساء: ٥٦ .

٢ - أكل الزقوم ، قال تعالى : ﴿ إِنَّ شَجَرَتَ ٱلزَّقُّومِ ﴿٤٣﴾ طَعَامُ ٱلْأَثِيمِ ﴿٤٤﴾ كَٱلْمُهْلِ يَغْلِى فِى ٱلْبُطُونِ ﴿٤٥﴾ كَغَلْىِ ٱلْحَمِيمِ ﴿٤٦﴾ ﴾ الدخان: ٤٣ - ٤٦ . والزقوم شجرة نارية مرة أصل منبتها في قرار النار وفروعها تصل إلى كل محل من دركات النار وطلعها قبيح يشبه رؤوس الشياطين . ويطلق على الزقوم اسمان آخران هما الغسلين والضريع ، وقيل إن الغسلين صديد أهل النار والضريع شجر من شوك يقال له الشبرق .

٣- التعذيب بالحميم ؛ وهو ماء نتن مر حار يشبه في حرارته المهل ؛ وهو ما أذيب من المعادن حتى ماج من شدة غليانه . والتعذيب بالحميم يكـــون بالشرب : ﴿ وَسُقُوا۟ مَآءً حَمِيمًا فَقَطَّعَ أَمْعَآءَهُمْ ﴿١٥﴾ ﴾ محمد: ١٥ ويكون بالصب فوق الرؤوس : ﴿ يُصَبُّ مِن فَوْقِ رُءُوسِهِمُ ٱلْحَمِيمُ ﴿١٩﴾ يُصْهَرُ بِهِۦ مَا فِى بُطُونِهِمْ وَٱلْجُلُودُ ﴿٢٠﴾ ﴾ الحج: ١٩ - ٢٠ ، ويكون بالسحب فيه : ﴿ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ﴿٧٠﴾ إِذِ ٱلْأَغْلَـٰلُ فِىٓ أَعْنَـٰقِهِمْ وَٱلسَّلَـٰسِلُ يُسْحَبُونَ ﴿٧١﴾ فِى ٱلْحَمِيمِ ثُمَّ فِى ٱلنَّارِ يُسْجَرُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ غافر: ٧٠ - ٧٢ ؛ أي يجرون في الماء الحار ثم يطرحون في النار فيكونون وقودا لها .

٤ - الضرب بالمقامع ؛ وهي آلات هائلة يضرب بها أهل النار في رؤوسهم ؛ قال تعالى : ﴿ وَلَهُم مَّقَـٰمِعُ مِنْ حَدِيدٍ ﴿٢١﴾ ﴾ الحج: ٢١ .

٥- العذاب المعنوي ؛ كالذل والندم والحرمان من رؤية الله تعالى ؛ قال تعالى : ﴿سَيُصِيبُ ٱلَّذِينَ أَجْرَمُواْ صَغَارٌ عِندَ ٱللَّهِ وَعَذَابٌ شَدِيدُۢ بِمَا كَانُواْ يَمْكُرُونَ ﴿١٢٤﴾﴾ الأنعام: ١٢٤،أي ذل ، وقال : ﴿وَأَسَرُّواْ ٱلنَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُاْ ٱلْعَذَابَ ﴾يونس: ٥٤،وقال :﴿كَلَّآ إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ﴾المطففين: ١٥

ومما يكون في الجنة من صور النعيم والحبور الأمور الآتية :-

١- الأكل والشرب ، قال تعالى : ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى ۖ وَلَهُمْ فِيهَا مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ وَمَغْفِرَةٌ مِّن رَّبِّهِمْ ﴾محمد: ١٥

٢- اللباس والزينة ، قال تعالى : ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٢٣﴾﴾ الحج: ٢٣، وقال ﷺ : (أمشاطهم من الذهب والفضة ومجامرهم الألوة) ؛ أي من العود .

٣- المساكن ، قال تعالى : ﴿وَعَدَ ٱللَّهُ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَمَسَٰكِنَ طَيِّبَةً فِى جَنَّٰتِ عَدْنٍ ۚ وَرِضْوَٰنٌ مِّنَ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلْفَوْزُ ٱلْعَظِيمُ ﴿٧٢﴾﴾ التوبة: ٧٢؛ والمساكن في الجنة ثلاثة أنواع ؛ قصور وغرف وخيام ، وبعضها خاص بمن أطعم الطعام وألان الكلام وتابع الصيام وصلى والناس نيام .

٤- الأزواج ، قال تعالى : ﴿وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ الدخان: ٥٤ ، وقال : ﴿وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾البقرة: ٢٥. ولكل واحد من أهل الجنة زوجتان كما ثبت في الصحيح : (لكل امرئ منهم زوجتان) . وقد ورد في بعض الأحاديث تخصيص الشهيد من هذا العموم وأن له اثنتان وسبعون زوجة .

٥- النعيـــــم المعنوي ، كجمال الخلقة وكمال القوة وطهارة القلب واللسان ودوام العافية والشباب وإحلال الرضـــــوان ، قال تعالى : ﴿ لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا وَلَا تَأْثِيمًا ﴿٢٥﴾ إِلَّا قِيلًا سَلَامًا سَلَامًا ﴿٢٦﴾ ﴾ الواقعة: ٢٥ - ٢٦

وقـــال : ﴿ وَهُدُوٓاْ إِلَى ٱلطَّيِّبِ مِنَ ٱلْقَوْلِ ﴾ الحج: ٢٤ ، وقال : ﴿ وَنَزَعْنَا مَا فِي صُدُورِهِم مِّنْ غِلٍّ ﴾ الأعراف: ٤٣ ، و قال ﷺ : (أول زمرة تدخل الجنة من أمتي على صورة القمر ليلة البدر ثم الذين يلونهم على أشد نجم في السماء إضاءة ثم هم بعد ذلك منازل) ، وقال : (ينادي مناد : إن لكم أن تصحوا فلا تسقموا أبدا ، وإن لكم أن تحيوا فلا تموتوا أبدا ، وإن لكم أن تشبوا فلا تهرموا أبدا ، وإن لكم أن تنعموا فلا تبأسوا أبدا) ، وقال : (إن الله يقول : يا أهل الجنة فيقولون : لبيك وسعديك والخير في يديك . فيقول : هل رضيتم ؟ فيقولون : ومالنا لا نرضى وقد أعطيتنا مالم تعط أحدا من خلقك ! فيقول : ألا أعطيكم أفضل من ذلك ؟ فيقولون : وأي شئ أفضل من ذلك ؟ فيقول : أحل عليكم رضواني فلا أسخط عليكم بعده أبدا) .

ومما اجتمع فيه النعيم الحسي والمعنوي رؤية الله تعالى ، وهي أعلى نعيم أهل الجنة ، قال تعـــــالى : ﴿ وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾ ﴾ القيامة: ٢٢ - ٢٣ ، وقـــال : ﴿ لِّلَّذِينَ أَحْسَنُواْ ٱلْحُسْنَىٰ وَزِيَادَةٌ ﴾ يونس: ٢٦ ، والزيادة هي النظر إلى وجه الله الكريم ، قال ﷺ : (إذا دخل أهل الجنة الجنة ... يقول الله تعالى : تريدون شيئا أزيدكم ؟ فيقولون : ألم تبيض وجوهنا ألم تدخلنا الجنة وتنجنا من النار ؟ فيكشف الحجاب ، فما أعطوا شيئا أحب إليهم من النظر إلى ربهم عز وجل) ، وقال ﷺ (إنكم سترون ربكم كما ترون هذا القمر ، لا تضامون في رؤيته ، فإن استطعتم ألا تغلبوا على صلاة قبل طلوع الشمس وصلاة قبل غروب الشمس فافعلوا) ، ووجه مناسبة ذكر هاتين الصلاتين أن الرؤية تحصل في مثل وقتهما ؛ ولهذا أوصى النبي ﷺ بالحرص على أدائهما في وقتهما دون تأخير . وقد وردت أحاديث أخرى تدل على حصول الرؤية أيضا في مثل وقت صلاة الجمعة والعيد ، وهي

أحاديث لا تخلو من مقال إلا أن كثرة طرق أحاديث الجمعة خاصة وما يعضدها من آثار يورث غلبة الظن بثبوتها .

سادسا : الإيمان بالقدر

الإيمان بالقَدَرِ أصلٌ من أصول الإيمان، فلا إيمان لمن أنكره أو آمن بقدر وكذب بقدر، وقد عني العلماء بتقرير هذا الأصل العظيم وتحريره لكثرة الشبهات حوله ، وأفردوا لأدلته كتبا خاصة ، ككتاب القدر من صحيح البخاري وكتاب القدر للفريابي . وللقدر مراتب لا يتحقق إيمان عبد إلا باستكمالها ، وهي :-

١- مرتبة العلم ؛ بمعنى الإيمان بسبق علم الله تعالى بحال كل مخلوق وعمله ومآله قبل وجوده . وهذه المرتبة محل إجماع بين المسلمين إلا ما يذكر عن القدرية الأولى فإنهم أنكروها وزعموا أن الأمر أُنُفٌ ؛ أي أن الله تعالى لا يعلم الكائنات إلا بعد وجودها . وقد أنكر مقالتهم ابن عمر ﷺ وعلماء السلف وصرح بعضهم بكفرهم بهذه المقالة المنكرة . وممن ضل في هذه المرتبة غلاة الشيعة؛ فإنهم يصفون الله تعالى بالبداء ؛ وهو ظهور أمر خفي على الله من قبل !! وكذلك ضل في هذه المرتبة الفلاسفة الإلهيون ؛ فإنهم يزعمون أن علم الله تعالى إنما يتعلق بالكليات الثابتة دون الجزئيات المتغيرة . وهذا يعني أن الله تعالى لا يعلم شيئا عن هذا العالم كله ، وأن علمه إنما يتعلق بالعقول العشرة التي تخيلوها ﴿كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ إِنْ يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ الكهف: ٥

٢- مرتبة الكتابة ؛ وذلك بالإيمان بأن الله تعالى كتب مقادير الخلائق قبل وجودهم، وأن أعمالهم وأحوالهم ومآلهم تجري على ما سبق في علم الله تعالى وكتابه ، قال تعالى : ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَابٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾ الحج: ٧٠ ، وقال ﷺ: (كتب الله

مقادير الخلائق قبل أن يخلق السموات والأرض بخمسين ألف سنة وكان عرشه على الماء) ،وقال : (إن أول ما خلق الله القلم فقال له أكتب قال رب وماذا أكتب قال اكتب مقادير كل شئ حتى تقوم الساعة) . وهذه الكتابة هي أصل التقادير ؛ فلا يدخلها محو ولا إثبات ألبتة ، قال تعالى: ﴿يَمْحُواْ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ وَيُثْبِتُ ۖ وَعِندَهُۥٓ أُمُّ ٱلْكِتَٰبِ ﴿٣٩﴾﴾ الرعد: ٣٩ ؛ أي أصله الذي لا يغير ولا يبدل ، وهو اللوح المحفوظ ؛ فإنه أصل جميع كتب التقادير العامة والخاصة ؛ وهي التقدير الحولي العام ليلة القدر والتقدير الخاص ببني آدم يوم الميثاق أولا ثم التقدير الخاص بكل واحد منهم بعينه ؛ وهو الذي يحصل لكل جنين في أول الأربعين الثانية أونهاية الأربعين الثالثة ؛ (فيرسل الملك فينفخ فيه الروح ، ويؤمر بأربع كلمات بكتب رزقه وأجله وعمله وشقي أو سعيد). وهذه الكتابة تقبل المحو والإثبات بأسباب معينة جاءت بها النصوص ؛ كصلة الرحم ، ففي الحديث (من سره أن يبسط له في رزقه وأن ينسأ له في أثره فليصل رحمه) ، وكحسن الجوار وحسن الخلق ففي الحديث (حسن الخلق وحسن الجوار يعمران الديار ويزيدان في الأعمار) ، وكبر الوالدين لحديث (من سره أن يمد له في عمره ويزاد له في رزقه فليبر والديه وليصل رحمه)، وكأفعال الخير والمعروف ففي الحديث (صنائع المعروف تقي مصارع السوء) ، وكالدعاء فإنه ينفع مما نزل ومما لم ينزل ، ففي الحديث (لا يرد القضاء إلا الدعاء) . فعلى المسلم أن يحرص على هذه الأسباب حتى يبارك له فيما قدر له من الخير ، ويدرأ عنه ما شاء الله مما قدر عليه من الشر .

٣- مرتبة المشيئة ؛ فحركات الكون وسكناته بما في ذلك أفعال العباد خيرها وشرها كلها واقعة بمشيئة الله تعالى وإرادته الكونية ، قال تعالى: ﴿مَن يَشَإِ ٱللَّهُ يُضْلِلْهُ وَمَن يَشَأْ يَجْعَلْهُ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٣٩﴾﴾ الأنعام: ٣٩ ، وقال : ﴿وَكَذَٰلِكَ زَيَّنَ لِكَثِيرٍ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ قَتْلَ أَوْلَٰدِهِمْ شُرَكَآؤُهُمْ لِيُرْدُوهُمْ وَلِيَلْبِسُواْ عَلَيْهِمْ دِينَهُمْ ۖ وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَا فَعَلُوهُ ۖ فَذَرْهُمْ

وَمَا يَفْتَرُونَ ﴿١٣٧﴾ ﴾ الأنعام: ١٣٧ ، وقال: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿٣٠﴾ ﴾ الإنسان: ٣٠، وقال: ﴿ فَمَن يُرِدِ اللَّهُ أَن يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ وَمَن يُرِدْ أَن يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ ﴾ الأنعام: ١٢٥.

٤ – مرتبة الخلق ؛فالعالم كله علويه وسفليه بمافي ذلك العباد وأفعالهم كلهم من خلق الله تعالى وحده ، قال تعالى : ﴿ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾ ﴾ الزمر: ٦٢ ، وقال : ﴿ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾ ﴾ الصافات: ٩٦ ، وفي الحديث: (إن الله خلق كل صانع وصنعته).

وقد خالف السلف في هذا المعتقد طائفتان مشهورتان ؛ القدرية الثانية والجبرية ؛ فأنكرت القدرية الثانية (المعتزلة) ؛ وكذلك الزيدية والشيعة الإمامية عموم المشيئة والخلق ؛ وزعموا أن العبد يخلق فعله ؛ ولهذا قالوا باختيار العباد اختيارا مطلقا . وهذا المعتقد يناقض الأدلة المذكورة آنفا في مرتبة المشيئة والخلق ويستلزم الوقوع في شرك الربوبية ؛ لأن كل عبد بزعمهم مستقل بإيجاد فعله بمعزل عن قدرة الرب ومشيئته ؛ ولهذا سماهم السلف بمجوس الأمة لشبه قولهم بمذهب المجوس في القول بالخالقين !

وفي المقابل غلت الجبرية في التعلق بنصوص القدر حتى أنكرت أثر العبد في فعله ، وزعمت أنه مع القدر كالشجرة في مهب الريح . وهذا يناقض الشرع والواقع ؛ فقد دل الشرع على ثبوت مشيئة العبد وقدرته ووقوع أفعاله الاختيارية تبعا لها ، قال تعالى: ﴿ فَمَن شَاءَ اتَّخَذَ إِلَىٰ رَبِّهِ مَآبًا ﴿٣٩﴾ ﴾ النبأ: ٣٩، وقال : ﴿ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّىٰ شِئْتُمْ ﴾ البقرة: ٢٢٣ ، ولكنها ليست مشيئة مستقلة وإنما هى تابعة لمشيئة الله تعالى: ﴿ وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ التكوير: ٢٩ ؛ ولهذا كان الصحيح أن الإنسان مع القدر ليس بمخير كما قالت القدرية وليس بمسير كما قالت الجبرية وإنما هو ميسر ؛ فمن كان أهلا للخير يسره الله له بفضله تعالى ورحمته وإلا خذله وحرمه بعدله سبحانه

وحكمته . وهذا هو الذي نطقت به النصوص ، قال تعالى ﴿ فَأَمَّا مَنْ أَعْطَىٰ وَٱتَّقَىٰ ۝٥ وَصَدَّقَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٦ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْيُسْرَىٰ ۝٧ وَأَمَّا مَنۢ بَخِلَ وَٱسْتَغْنَىٰ ۝٨ وَكَذَّبَ بِٱلْحُسْنَىٰ ۝٩ فَسَنُيَسِّرُهُۥ لِلْعُسْرَىٰ ۝١٠ ﴾ الليل: ٥ - ١٠ ، وقال ﷺ:(ما منكم من نفس منفوسة إلا قد علم الله مكانها من الجنة والنار شقية أم سعيدة . فقال رجل من القوم : يا رسول الله أفلا ندع العمل فنتكل على كتابنا فمن كان من أهل السعادة صار إلى السعادة ومن كان من أهل الشقاوة يعني صار إلى الشقاوة ؟ فقال رسول الله ﷺ :(اعملوا فكل ميسر من كان من أهل السعادة يسر لعملها ومن كان من أهل الشقاوة يسر لعملها). وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه(قلت :يارسول الله أرأيت عملنا هذا على أمر قد فُرِغَ منه أم على أمر نستقبله ؟ فقال رسول الله ﷺ:(بل على أمرٍ قد فُرغَ منه) . فقال عمر : ففيم العمل؟ فقال رسول الله ﷺ: (كلا . لا يُنالُ إلا بعمل) . فقال عمر رضي الله عنه إذن نجتهد).

وكذلك قال سراقة بن مالك رضي الله عنه : (فالآن نَجِدُّ ، الآن نَجِدُّ ، الآن نَجِدُّ) ؛ فلم يفهموا من الإيمان بالقدر تعطيل الأسباب وإنما فهموا الجد والاجتهاد في مباشرتها ؛ لأنها من قدر الله تعالى وسنته في خلقه .

وينبغي للمسلم أن يعتصم بالنصوص في دينه عامة وفي الإيمان بالقدر خاصة ؛ فإن الضلالات في القدر لا تكاد تنحصر، وبعضها من إرث الجاهلية الأولى ؛ كاتخاذ القدر حجة في تعطيل الشرع وتبرير الاستمرار في المعصية ، قال تعالى: ﴿ سَيَقُولُ ٱلَّذِينَ أَشْرَكُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱللَّهُ مَآ أَشْرَكْنَا وَلَآ ءَابَآؤُنَا ﴾ الأنعام: ١٤٨ ، وقال﴿ وَقَالُوا۟ لَوْ شَآءَ ٱلرَّحْمَٰنُ مَا عَبَدْنَٰهُم ۗ مَّا لَهُم بِذَٰلِكَ مِنْ عِلْمٍ ۖ إِنْ هُمْ إِلَّا يَخْرُصُونَ ۝٢٠ ﴾ الزخرف: ٢٠ ؛ فذمهم على احتجاجهم بالقدر لتبرير الاستمرار فيما هم فيه من شرك وضلالة ، وهكذا كل من اتخذ القدر حجة لدفع الحق أوتبرير ماهو فيه من باطل . ويذكر عن عمر

ابن الخطاب ﷺ أنه أمر بقطع يد سارق فقال يا أمير المؤمنين : سرقت بقدر الله . فقال عمر : ونحن نقطعك بقدر الله !!

وأما ما ثبت من احتجاج آدم على موسى بالقدر ، وأنه حجه بذلك فإنما احتج به على مصيبة الخروج من الجنة ، والقدر يحتج به في المصائب لا في المعائب . وكذلك فإنه احتج به على الذنب بعد التوبة منه لا لرد الحق أو تبرير الاستمرار في الذنب .

الوحدة الرابعة

المنهج التفصيلي للعقيدة

المدخل لعقيدة السلف ما هو إلا باب وطريق للدراسة التفصيلية لهذا العلم الشريف ؛ ولهذا رأيت أن من المتعين في هذا المدخل أن أضع خطة للدراسة التفصيلية يسير عليها من أراد التمكن أو التعمق في هذا العلم . وتتكون هذه الخطة من أربع مراحل :

الأولى : في الربوبية والألوهية .

أولا : ربوبية الله تعالى

١ -فطرية وجود الله تعالى وتوحيده.

٢ -أدلة وجود الله تعالى.

٣ -معنى التوحيد وأنواعه والعلاقة بينها.

٤ -منزلة توحيد الربوبية عند السلف وطريقة تقريرهم له.

٥ -تحقيق معنى الشرك في الربوبية وبيان أهم مظاهره.

ثانيا : توحيد الألوهية

١ -معنى توحيد الألوهية وعلاقته بالشهاده.

٢ -أهميته وفضائله وكيفية تحقيقة.

٣ -منهج القرآن في الدعوة لتوحيد الألوهية

٤ -أنواع الشرك في توحيد الألوهية ووسائله.

٥ -شبهات المخالفين في شرك الألوهية عرضا ونقدا .

ومن مراجع هذه المرحلة : -

١ -شرح العقيدة الطحاوية لعلي بن أبي العز الحنفي .

٢ -فتح المجيد لعبدالرحمن بن حسن .

٣ -مجموع الفتاوى لابن تيمية.

٤ -كشف الشبهات لمحمد بن عبدالوهاب.

٥ -ابن تيمية السلفي ونقده لمسالك المتكلمين في الإلهيات لمحمد هراس .

٦ -دعوة التوحيد لمحمد هراس .

٧ -الأدلة العقلية الشرعية على أصول الاعتقاد لسعود العريفي .

٨ -دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبدالوهاب لعبد العزيز العبـد اللطيف .

الثانية : في الأسماء والصفات .

الدراسة في هذه المرحلة تكون لجانبين رئيسين :

أولا : القواعد والضوابط

يدرس في هذا الجانب القواعد التاليه :

١ -قواعد السلف في أسماء الله الحسنى.

٢ -قواعد السلف في صفات الله تعالى.

٣ -قواعد السلف في أدلة الأسماء والصفات.

٤ -مشكل نصوص الصفات .

ثانيا : الدراسة المفصلة

أهم ما يجب دراسته في هذا الجانب الصفات التالية :

١ -صفة العلو والمباينة والصفات المرتبطة بها ؛ كالمعية والاستواء والنزول .

٢ -صفة الكلام .

٣ -صفة الرؤية .

٤ -صفة اليد .

٥ -صفة الوجه ، وباقي الصفات العشر التي بسط القول فيها في مختصر الصواعق المرسلة .

ومن مراجع هذه المرحلة :

١ -الرسالة التدمرية لابن تيمية.

٢ -القواعد المثلى لابن عثيمين.

٣ -شرح العقيدة الطحاوية لعلي بن ابي العز الحنفي.

٤ -تأويل مختلف الحديث لابن قتيبة .

٥ -مجموع الفتاوى لابن تيمية.

٦ -بدائع الفوائد لابن القيم.

٧ -مختصر الصواعق المرسلة للموصلي.

٨ -شرح النونية لمحمد هراس .

٩ -الخلاصة في العلو والكلام والرؤية لعيسى السعدي .

الثالثة : في النبوات والغيبيات .

أولا : النبوات

١ – معنى النبي والرسول والفرق بينهما.

٢ – حاجة البشر للرسالة و الرد على منكري النبوة.

٣ – صفات الرسل ، مع التفصيل في بشريتهم وعصمتهم.

٤ – حقيقة النبوة ، وأنها اصطفاء لا اكتساب أو جزاء عمل سابق.

٥ – معنى الوحي وأنواعه .

٦ – معنى الإلهام وإمكانه وعدم عصمته والرد على من استغنى به عن الوحي.

٧ – أدلة صدق الرسل ، مع الفرق بين آياتهم وخوارق غيرهم .

٨ – وحدة الرسالات في الأصول دون الفروع.

٩ – فضل الأنبياء وتفاضلهم :

- التفضيل بين الأنبياء.
- التفضيل بين الأنبياء والملائكة.
- تفضيل الأنبياء على الأولياء والحكماء مع بيان أصل المخالف ورده.

١٠ – نبوة سيد المرسلين ﷺ :

- أدلة ثبوتها ، والرد على الشبهات حولها .
- خصائصها مع التفصيل في عمومها ، وختم النبوة بها ، وفي الإسراء والمعراج ، والحوض ، والشفاعة .
- عقيدة أهل السنة والجماعة في آل النبي ﷺ وخلفائه وأصحابه مع الرد على المخالف.

ثانيا : الغيبيات

١ -حقيقة الإيمان بالملائكة ، وأدلته ، والرد على من انحرف في هذا الأصل من الفلاسفة.

٢ -وجود الجن ، وتكليفهم ، مع دراسة أهم أحكامهم ، وطرق الوقاية من شرهم .

٣ -حقيقة الروح ، ومستقرها في البرزخ ، وإبطال دعوى التناسخ وتحضير الأرواح.

٤ -عذاب القبر ونعيمه والرد على من أنكره .

٥ -إهداء ثواب الأعمال لأهل البرزخ .

٦ -أشراط الساعة .

٧ -أدلة البعث وصفته ، والرد على من أنكره أو خصه بالأرواح أو الأجساد.

٨ -العرض والحساب ، والصراط والميزان وأهوال القيامة .

٩ -وجود الجنة والنار ، وأبديتهما ، وصفاتهما.

ومن مراجع هذه المرحلة :

١ -شرح العقيدة الطحاوية لعلي بن ابي العز الحنفي.

٢ -النبوات لابن تيمية.

٣ -منهاج السنة لابن تيمية.

٤ -الجواب الصحيح لابن تيمية .

٥ -مجموع الفتاوى لابن تيمية .

٦ -الروح لابن القيم .

٧ -حادي الأرواح لابن القيم.

٨ -فتح الباري لابن حجر.

٩ -آكام المرجان في أحكام الجان للشبلي.

١٠ -المسائل المشتركه للعروسي.

١١ -النبي والرسول لأحمد الحمد.

١٢ -أشراط الساعة للوابل .

١٣ -الروحية الحديثة لمحمد حسين.

١٤ -المعرفة في الإسلام لعبد الله لقرني.

١٥ -الوعد الأخروي لعيسى السعدي .

الرابعة : في الإيمان والقدر .

أولا : مسائل الإيمان

١ -معنى الإيمان حال الإطلاق والتقييد مع الاستدلال لكل حاله.

٢ -إجماع السلف على دخول العمل في مسمى الإيمان المطلق وأدلته.

٣ -مذاهب المرجئة في مسمى الإيمان عرضا ونقدا.

٤ -أركان الإيمان المطلق وشعبه مع دراسة علاقة الظاهر بالباطن.

٥ -الفرق بين الإسلام والإيمان والإحسان.

٦ -زيادة الإيمان ونقصانه.

٧ -الاستثناء في الإيمان.

٨ -حقيقة الولاية وتبعضها ومراتبها وثمراتها .

٩ -أحكام الإيمان العملية:

- الشهادة والبراءة
- طاعة ولاة الأمر في غير معصية وتحريم الخروج عليهم .
- الحج والجهاد مع الأئمه.
- الصلاة خلف كل بر وفاجر وعلى من مات منهم .

١٠ -أثر الكبائر على اسم الإيمان وحكمه :

- معنى الكبيرة والصغيرة .
- اختلاف السلف في التارك لشئ من مباني الإسلام .
- أثر الكبيرة على الإيمان عند السلف .
- موانع إنفاذ وعيد الكبيرة .
- أثرها على الإيمان عند الوعيدية والمرجئة عرضا ونقدا .

١١ -معنى الكفر وأنواعه وضابط كل نوع وأدلته .

١٢ -خطورة التكفير وشروطه وموانعه .

١٣ -آثار الإيمان على الفرد والمجتمع.

ثانيا : القضاء والقدر

١ -معنى القضاء والقدر والفرق بينهما .

٢ -أهمية القدر وذم منكريه والنهي عن الخوض فيه .

٣ -العلم السابق وأدلته والرد على من أنكره من القدرية والفلاسفة.

٤ -كتابة المقادير مع التفصيل في أنواع التقادير والأقلام والمحو والإثبات واختلاف السلف في أول المخلوقات.

٥ -الميثاق ، أدلته ، علاقته بالقدر والفطرة ، الرد على من أنكر حقيقته .

٦ -الفطرة ، معناها ، عمومها ، علاقتها بمسألة الهدى والضلال .

٧ -عموم المشيئة ، أدلته ، أنواع الإرادة ، علاقة الأمر الشرعي بالإرادة ، علاقة المشيئة بالمحبة .

٨ -المراد لذاته والمراد لغيرة ، حكمة وجود المراد لغيرة ، أهم ما يتطرق لتقديره من استشكالات .

٩ -خلق أفعال العباد ، مذهب السلف وأدلته ، مذهب القدرية والجبرية عرضا ونقدا .

١٠ -الاستطاعة ، تكليف مالا يطاق ، طريقة السلف في التنزيه عن ظلم العباد مع بيان الطرق المخالفة وردها .

١١ -حقيقة الجمع بين الشرع والقدر دون معارضة بينهما أو تعظيم لأحدهما وإهمال للآخر .

١٢ -الاحتجاج بالقدر ، أدلة ما يشرع منه وما يمنع مع استيفاء طرق أهل العلم في توجيه حديث المحاجة بين آدم وموسى عليهما السلام .

١٣ -دلالات القدر الإيمانية وآثاره الايجابية مع الرد على من اتخذه وسيلة لتعطيل الأسباب .

ومن مراجع هذه المرحلة :

١ -شرح العقيدة الطحاوية لعلي بن ابي العز الحنفي.

٢ -شرح أصول اعتقاد أهل السنة لأبي القاسم اللالكائي.

٣ -الشريعة للآجري.

٤ -الرسالة التدمرية لابن تيمية .

٥ -مجموع الفتاوى لابن تيمية.

٦ -شفاء العليل لابن القيم .

٧ -التوضيح والبيان لابن سعدي

٨ -القضاء والقدر للمحمود .

٩ -مفاهيم ينبغي أن تصحح لمحمد قطب .

١٠ -وللمؤلف كتب يمكن الاستفادة منها في موضوعات هذه المرحلة ؛ وهي (الوعد الأخروي) و(موانع إنفاذ الوعيد) و (المحو والإثبات في المقادير) و (ميثاق الإيمان) و (المختصر في مسائل الإيمان) . والله أعلم ، وصلى الله على نبينا محمد ، وعلى آله وصحبه أجمعين .

تم الكتاب والحمد لله رب العالمين

فهرس الموضوعات

المقدمة ٢

مبادئ علم العقيدة (الوحدة الأولى) ٣- ٢٢

معنى العقيدة ٣

موضوع العقيدة ٣

أسماء العقيدة ٤

أهمية العقيدة ٨

أدلة العقيدة ٩

كتب العقيدة ١٤

ألقاب أهل السنة والجماعة ١٧

خصائص أهل السنة والجماعة ١٨

معنى التوحيد وأنواعه (الوحدة الثانية) ٢٣- ٢٨

أنواع التوحيد باعتبار المتعلق ٢٣

أنواع التوحيد باعتبار مايجب على الموحد ٢٥

العلاقة بين أنواع التوحيد ٢٦

توحيد المرسل (المتابعة) ٢٧

مختصر أصول الاعتقاد (الوحدة الثالثة) ٢٩- ٥٣

الإيمان بالله تعالى ٢٩

الإيمان بالملائكة ٣٥

الإيمان بالكتب ٣٧

الإيمان بالرسل ٣٨

الإيمان باليوم الآخر ٤٣

الإيمان بالقدر ٤٩

المنهج التفصيلي للعقيدة (الوحدة الرابعة) ٥٤-٦١

الربوبية والألوهية ٥٤

الأسماء والصفات ٥٥

النبوات والغيبيات ٥٧

الإيمان والقدر ٥٩